30 ركيزة لحياةٍ أُسَرِيةٍ سَعِيدةٍ

قصص واقعية

تأليف
عبد الرحمن بنساير العواد الشمري
المستشار في شؤون الأسرة

تقديم
أ.د عبدالرزاق بن حمود الزهراني
رئيس الجمعية السعودية لعلم الاجتماع

دار ابن الجوزي

ح عبد الرحمن ساير العواد الشمري ، ١٤٣١ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشمري ، عبد الرحمن ساير العواد
ثلاثون ركيزة لحياة أسرية سعيدة / عبد الرحمن ساير العواد
الشمري - الرياض ، ١٤٣١هـ
٢٢٤ ص ؛ ١٧x٢٢سم
ردمك: ١-٥٩٦٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١- الاسرة في الاسلام ٢- التربية الاسلامية أ.العنوان
ديوي ٢١٩,١ ١٤٣١/٨٠١٩
رقم الإيداع: ١٤٣١/٨٠١٩
ردمك: ١-٥٩٦٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣٢هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢
الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - ٠٥٦٣٤٧٦٣٨٨ - **بيروت** - هاتف:
٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - **القاهرة** - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس:
٠٢٤٤٣٤٤٩١٠ - **الإسكندرية** - ٠١٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:
aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

إِهداء

إِلى إِنْسانَين راقيين في حَياتِهِما الأُسرِيَّةِ،

إِلى أُمِّي ... وَأَبي

اِبْنكما

تقديم

مرَّ المجتمع السعودي ويمرُّ بتغيرات سريعة لم يسبق لها مثيل في التاريخ، فخلال أقلّ من أربعين سنة تغيّر كل شيء تقريباً في حياة المجتمع، ولم يبق من معالم وأدوات وصور الحياة القديمة إلا ذكراها، وبعض آثارها الممثلة في التحف، وبعض الأدوات التي كانت تستخدم، لقد عاشت الأسرة السعودية في الفترة التي يسميها علماء الاجتماع بفترة التغيّر البطيء والتي امتدت من عام ١٣٥١هـ إلى عام ١٣٩٠هـ عيشة مستقرة، فنسبُ الطلاق كانت متدنيَّة، والعلاقات الأسريّة كانت قويّة، وكان هناك أشياء كثيرة مشتركة بين أفراد الأسرة التي كانت في الغالب أسرة ممتدّة تتكون من الأمّ والأب والأبناء وزوجاتهم والأحفاد، وكان الجميع يكافح من أجل توفير لقمة العيش، وتتشابك العزائم والأيدي والأفكار في سبيل ذلك، ولم يكن هناك أوقات فراغ تسمح للخلافات بأن تزيد وتتفاقم، ولم يكن هناك وفرة تجعل الفرد يستغني عن غيره من أفراد الأسرة.

وبدأت التّغيرات تتوالى من ارتفاع في مستويات المعيشة، وتوفر وسائل

الحضارة المعاصرة من كهرباء، وسيارات، وأدوات منزليّة، وأدوات التّرفيه، وعمالة بأنواعها، وسفر إلى الخارج، وأدوات اتصال وإعلام.. وفي ظل تلك التغيرات تأثرت العلاقات الأسرية، وبدأ عليها الكثير من علامات التّوتر والتّصدع والوهن، نرى ذلك في كثرة تزايد المشكلات الأسريّة، من طلاق، وعنف، وضعف في العلاقات، وضعف في سلطة الوالدين، وعناد وعصيان من قبل الأبناء، وضعف في صلة الأرحام، وضعف في التّواصل بين الأقرباء..

وفي ظل تلك التّغيرات بدأت الكثير من المؤسسات الحكوميّة والخاصة تدق ناقوس الخطر، وتحاول أن تجد الوسائل والأدوات لحل تلك المشكلات بعد دراستها وتشخيصها ومعرفة أسبابها، ووصف العلاج والدواء الناجع لها.. ويأتي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعيّة وعلم النفس والتّربية في مقدمة العلوم التي تعنى بمثل هذه القضايا باعتبارها من القضايا التي تحدث تأثيرات كبيرة في الميدان الذي يغطيه كل علم من تلك العلوم.. وتراكمت بعض المواد العلمية التي تتيح للباحث والمتخصص وصف المشكلة، ووصف العلاج الناجع لها، وتبيّن أنّ هناك نقص حاد في ثقافة كثير من الشباب والشابات حول الحياة الأسريّة، وما تتطلّبه من مسؤوليّات لكل طرف من أطرافها، وخاصة الطرفين المؤسسين للأسرة وهما الشاب والشابة، فالثقافة الأسريّة التي كانت تنتقل بالمعايشة وبالقدوة من الجيل السابق للجيل اللاحق ضعفت لقلة الاحتكاك داخل البيت،

فإذا كان الزوجان يعملان فإن اجتماعها في المنزل لا يتمّ إلا في ساعات محدودة من النهار، وتحول المنزل إلى فندق صغير، لكل فرد برنامجه الخاص، ينام ويأكل ويخرج من البيت ويعود إليه بطريقته الخاصة، وقد يمرّ أيام لا يلتقي الأب بأبنائه، وخاصة إذا كانوا في سن المراهقة، يضاف إلى ذلك أن الشباب اليوم يعيشون في بحبوحة من العيش، ويعتمدون على الوالدين، وعلى الخدم في توفير متطلبات الحياة، فلم يمرّوا بمرحلة المعاناة والتّعب والكد التي مرّ بها الجيل السّابق.

وأصبح الجيل الجديد في معظمه لا يُقدّر الكثير من القيم التي أمرت بها الشرائع السماويّة، والأفكار الوضعيّة، وفي مقدمة تلك القيم ما أسميه بأمّ القيم، ألا وهو الصبر، والصبر يقتضي تحمل المسؤوليّة، والقيام بالواجب، والإيثار، والبعد عن الأنانيّة، ومن تلك القيم قيمة الحلم والأناة وعدم الاستعجال في الأمور، وعدم محاولة قطف الثمار قبل نضجها، تلك العوامل وغيرها جعلت الكثير من الأسر التي يكوّنها الشباب تتحطّم في شهورها الأولى، وتنتهي رحلتها بالفشل.. هذه الظاهرة أوجبت على العقلاء ومراكز البحث العلمي والمؤسسات التفكير والعمل لإيجاد حلول لها، وقامت كثير من المراكز بتصميم وتنفيذ دورات متخصّصة تُركّز على عوامل نجاح الحياة الزوجيّة، وقيادة سفينة الأسرة إلى برّ الأمان، وتجنيبها العواصف والأعاصير التي قد تقضي عليها، وهذا الأمر تمّ القيام به في بلدان أخرى، منها ماليزيا التي انخفض فيها الطلاق بعد تلك الدورات

بنسبة تقارب الخمسين في المائة، وفي جدة تمكن مركز (مودة) من حل ما يقارب ٥٠٪ من المشكلات الزوجيّة التي وصلت إلى المحاكم، وعاد الزوجان إلى عشّ الزوجيّة من جديد.

وقبل عدّة سنوات أجبرت الجهات الرسميّة من يفكر بالإقدام على الزواج أن يقوم بالفحص الطبي قبل الزواج، للتأكد من التّوافق بين الطرفين، ولقد كان لذلك القرار تأثيراته الإيجابيّة على الحياة الأسريّة، وتجنيب الجيل الجديد الكثير من الأمراض الوراثيّة، وإذا كان الفحص الطبي أصبح إلزاميًّا وشرطًا ضروريًّا لعقد الزواج، فيمكن اقتراح إلزام كلّ من الشاب والشابة القادمين على الزواج بالتحاق بدورات تدريبيّة مكثّفة حول الأسس والقواعد التي تجب مراعاتها لبناء أسرة سليمة قابلة للاستمرار، وأن لا يسمح بكتابة عقد القران من قبل مأذوني الأنكحة إلا بعد أخذ تلك الدّورات، وإحضار شهادة بذلك، وهذا يتطلّب تجهيز فرق من المرشدين المدرّبين لتقديم تلك الدّورات في جميع مناطق المملكة، وأن تقدّم تلك الدّورات مرتين في العام على الأقل، مرة في نهاية كل فصل دراسي، وأن تكثف الدّورات قبل فصل الصّيف حيث تكثر الزيجات، ويُقبل الشباب على إقامة احتفالات زواجهم أثناء عطلة المدارس.. إن تطبيق مثل هذا الاقتراح يحتاج إلى إرادة عامّة وخاصّة، فأمّا العامّة فمن قبل ولاة الأمر وفقهم الله بأن يُصدروا أوامرهم بذلك، وأما الخاصّة فتتعلّق بالجهات التي تقدّم تلك الدّورات، ولعل وزارة الشؤون الاجتماعية هي الوزارة المرشّحة

للقيام بذلك بالتعاون مع الجمعيّات الخيريّة، والمراكز المتخصّصة في الشؤون الاجتماعيّة والأسريّة، ويجب أن تشارك الوزارات والجهات ذات العلاقة في تلك الجهود، مثل الجامعات، والجمعيّات العلميّة، ووزارة الإعلام، والشؤون الإسلاميّة، ووزارة العدل، ووزارة التربية والتعليم. إن مثل هذا المشروع سوف يسهم في التقليل من المشكلات الأسرية، وسوف يساعد الأسرة على القيام بدورها الحيوي والبناء باعتبارها خط الدفاع الأول ضد الانحرافات الفكريّة، والصحيّة، والسلوكيّة، والتربويّة، والأمنيّة. وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع كله، فهي بالنسبة للمجتمع بمثابة القلب من الجسد.

وفي هذا الجانب بذل الأستاذ عبدالرحمن بنساير العواد الشمري جهداً مركّزاً في إعداد هذا الدّليل الإرشادي للحياة الزوجيّة الناجحة، وقد ارتكز في إعداده على دُعامتين رئيستين، أولاهما تعاليم الإسلام وإرشاداته، وتطبيقاته النبويّة الشريفة، وتطبيقاته من قبل الصّحابة الكرام الذي ربّاهم ووجّههم الإسلام إلى أنجع السبل في مواجهة مشكلات الحياة والتعامل معها، أما الركيزة الثانية التي اعتمد عليها الكاتب فتتمثل في تجارب الواقع التي مر بها، أو مرت به من خلال عمله مستشاراً في شؤون الأسرة في مشروع ابن باز الخيري لمساعدة الشباب على الزواج، ولقد استفدت من بعض تلك المواقف الطريفة والعميقة لحل المشكلات الأسريّة، وتجاوز تعقيداتها، وبقي أن نشير ونؤكد لجميع الشباب ذكوراً وإناثاً أن الحياة

الأسريّة لا تخلو من المنغصّات والخلافات في كل زمان ومكان، والفرق بين الناس يتمثل في طريقة التعامل مع تلك المنغصّات والخلافات، فإذا كان التعامل حكيماً وعقلانياً استمرت السّفينة في إبحارها بسلام وأمان، وإذا كانت المعالجة تتسم بالتعجّل والحمق والسطحيّة وعدم الصّبر تحطمت سفينة الحياة الزوجيّة وداهمتها الأخطار من كل جانب، وفي النصائح التي يقدمها كاتب هذا الدليل الإرشادي زادٌ وفير للشباب والشابات في الحفاظ على سفينة الحياة الأسريّة، وقيادتها بوعي وحكمة، فللأخ عبدالرحمن بن ساير العواد الشمري مني جزيل الشكر، وأتمنى أن يأتي اليوم الذي تتبنّى فيه الجهات المختصة جعل الالتحاق بالدّورات الخاصة بالزواج إلزاميًّا، ليتمكّن الباحث وأمثاله من المستشارين الاجتماعيين من توصيل أفكارهم وخبراتهم وإرشاداتهم إلى جميع الشباب والشابات المقدمين على الزواج،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د. عبدالرزاق بن حمود الفقيه الزهراني

أستاذ علم الاجتماع في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

رئيس الجمعية السعودية لعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

مُقَدّمة

إنَّ الحمدَ لله نَحمَدُهُ ونَستعينُهُ ونَستغفرُهُ، ونَعوذُ بالله منْ شُرور أَنفسنا ومنْ سَيئات أَعمالنا، مَنْ يَهده اللهُ فلا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضللُ اللهُ فلا هاديَ لَهُ، وأَشهَدُ أَنَّ لا إله إلاَّ الله وَحدَه لا شريكَ لهُ، وأَشهدُ أَنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ ورَسُولُه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.(1)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.(2)

وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.(3)

---

(1) سورة آل عمران (آية رقم: 102)

(2) سورة النساء (آية رقم: 1)

(3) سورة الأحزاب (آية رقم: 70، 71)

أمّا بَعد:

فإنَّ أَصْدَقَ الحديث كتابُ الله، وأَحسنَ الهَدي هَدْيُ مُحمد ﷺ، وشَرُّ الأمور مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدثة بدعة، وكُلُّ بدعة ضَلالَة، وكُلُّ ضَلالَة في النَّار.

إنَّ الـمُتأمِّلَ لأحوال النَّاس، ومَا يَدورُ بينَهم منْ حَديث ومَقال، سَواءٌ كانَ ذلكَ لطَرح إشكال أمْ لـمَزيد منَ الوصال، يَجدُ أنَّ منْ بَين هذه الأشياء الَّتي يَطرحُونَها رجالاً ونساءً، كبارًا وصغارًا، أُمورَ الحياة الأسَريَّة بجميع جَوانبها وبكُلِّ أَبْعادها.

وإننا إذا ما شاهَدْنا أَيَّ قَناة منَ القَنوات المرئيَّة، أو اسْتَمعْنا إلى بَرنامَج إذاعيٍّ، أو طالَعنا مَجَلَّةً أو صَحيفةً، لَوَجَدْنا هَذه المَسائلَ لَها حُضورُها الخَاصّ والمُمَيَّز، ولا غَرابَةَ في ذَلكَ إذْ أنّها تَمَسُّ حَياةَ الأُسَر التي هيَ أساسُ وبُنيَةُ المُجتمعات.

وإنّني ومنْ خـلال عَملي مُسْتَشَارًا ومُدرِّبًا في شُؤون الأُسْرَة، وَاطِّلاعي عَلى نَماذج كثيرة لأُسَر ناجحة وأُخرى بخلاف الأولى، أَلَّفْتُ هذه الرَّكائزَ، تَلَمُّسًا لذلكَ الواقع المـُعاش، آملاً أنْ أكونَ قدْ وَضَعْتُ لَبنَةً منْ لَبنات الإرشاد والتَّوجيه في مَوضوع الحَياة الزوجيَّة والأُسَريَّة، بشَكل مُبسَّط، ولُغَة سَهلَة.

ومَا طَرحتُه بين أيْديكم، إنّما هي مَجموعةُ تَأمُّلات في الحَياة، تَجَمَّعتْ عَلى مَرِّ السِّنين، أُولاها هَذه الرَّكائز والَّتي تَختَصُّ بشؤون الأُسرة وخاصَّة العلاقة بين الزَّوجين، وإنْ كانتْ لا تَنحَصرُ بها، وسَيَتتابعُ نَشرُ بَقيَّتها لاحقًا بإذنه

تعالى. ثمَّ إنَّني أُحبُّ أنْ أُنبِّهَ بأنَّ القصَصَ والأحداثَ الأسريّةَ الوارِدَةَ في هذا الكتاب ليستْ بالضَرورة خاصَّةً بأُسْرَة مُعيَّنَة، وإنَّما هي نَماذجٌ للعَديد منَ القصَص المُتَشابهَة المُتكرِّرَة الَّتي مَرَّتْ بها العَديد منَ الأسَر في مُجتَمعنا العَربي الكَبير، تَجمَّعَتْ لَدَيَّ خلالَ سَنوات طويلَة قَضيتُها في مَجال الاسْتشارات الأُسَريَّة والتَّدريب.

ثمّ إنّ غايةَ ما أتمناه في هذا الشأن أن أثيرَ في القارىء شيئًا من الاهتمام بتطبيق عمليٍّ لهذه الرّكائز، التي أعتقدُ بأنّها ستلعبُ دورًا كبيرًا في تحقيق استقرار وسعادة الأسرة. رَاجياً منَ الله عَزَّ وجَلَّ أَنْ يَنفعَ بها كُلَّ مَنْ قَرَأَها، وأَنْ يُوَفِّقَ كُلَّ زَوج وزَوجة وأَنْ يرزُقَهُما الرُّشدَ وأَنْ يَهبهُما التَّوفيق.

وفي نهايَة هَذَا الْعَمَل لا أَقُوْلُ إلا مَا قَاَل العَلاّمَةُ الإمامُ الوَرعُ عبدالرحمن بن مُحمد المعروف بالدّاوودي المُتَوفَى سَنَة سَبْع وَستينَ وأَرْبَع مئة عندَما قَال:

رَبِّ تَقبَّلْ عَمَلي
ولا تُخيِّبْ أَملي
أَصْلحْ أُموري كُلَّها
قَبلَ حُلُول الأَجَل

ولا حَولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله العَليِّ العَظيم. والحمدُ لله رَبِّ العَالمين.

عبد الرحمن بن ساير العواد الشمري
الـمُستشارُ في شؤون الأُسرة
في مشروع ابن باز الخيري لمساعدة الشباب على الزواج
صندوق بريد ١٢٢٢٧٨، الرمز البريدي ١١٧٢١
البريد الإلكتروني: asrm_55@hotmail.com

الرَّكيزةُ 1

التَّدَيُّنُ

التَّدَيُّنُ..

لا شَكَّ أنَّ الأسْرَةَ المتديِّنةَ هي منْ أكْثرِ الأُسَرِ هُدوءًا واسْتقرارًا ذلك أنَّ الأُسَرَ القائمةَ بأوامرِ الله هي أُسَرٌ تسيرُ في طريق السَّعادة والاطمئنان قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1]، هُنا يتَّضِحُ لنا أنّ اطْمئنانَ القلوب سَببُهُ ذكْرُ الله ،وذكْرُ الله سَببُهُ التَّدين ولَعلَّ منْ أكثر الجوانب الَّتي تُضْفي سَعادةً

(1) سورة الرعد (آية رقم: 28)

على الأسرة هي وُجودُ قاعدَة قويَّة منَ الأخلاق تَدورُ الأسرةُ في فَلكها، فوُجُودُ الأخلاق دليلٌ عَلى وجود تَديُّن، بل إنَّ الدِّينَ هو الأخلاقُ.

وتَصَوَّر كيف أنَّ الرَّسول ﷺ بُعثَ كما قالَ ليُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق. بل أبعد منْ ذلك حيثُ جعلَ خيارَ النَّاس هم أَحسَنهم أخلاقًا حيثُ قالَ ﷺ: (إنَّ خيارَكَم أحسَنُكُم أخلاقًا)،[1] وهذا دليل على أهميَّة التَّحلي بالأخلاق.

وممّا لاشك فيه عندي أنّ تطبيقَ تعاليم الدِّين في حياتنا من أهمّ دعائم تحلّينا بالأخلاق، وهو الذي يَضمنُ استمرارَها أيضًا، عندها تُصبحُ الأخلاقُ مرجعيَّةَ الأسرة في كلِّ شُؤونها، إعدادًا وإمدادًا.

ولعلَّكم تتأمَّلونَ مَعي هذا النَّموذجَ المعاصرَ، فهدى شابةٌ تَزوجتْ وأنجبتْ طفلين وكانتْ محافظةً على الصَّلاة قبلَ الزَّواج، ولأنَّ زوجَها لَمْ يكنْ مُحافظًا على صَلواته فقدْ تأثرتْ به، فأصبحتْ تَتكاسَلُ عنْ أداء بعض الفروض، حتَّى وصلَ بها الحالُ إلى أنْ تَركتْ الصَّلاةَ بالكليَّة. واستَمرَّتْ على هذا الحال لأكثر منْ سَنتين، ثمَّ كانَ لها من اسمها نَصيبٌ، فهَدَاها الله وعادتْ محافظةً على الصَّلاة.

تقولُ: في فترة تَركي للصَّلاة لمْ يَكُنْ في حياتي راحةٌ وسعادةٌ، حتَّى إنَّ وَجهي يَشوبُهُ سَوادًا لمْ أكُنْ أَعْهَدُهُ منْ قَبل وأمَّا بعدَ التزامي بها، فوالله إنِّي لأرى النُّورَ فيه. وأمَّا في شَأن زوجي فقد اسْتقامَ حالُهُ، فبعدَ أنْ كانَ تاركًا لكلِّ فروض الصَّلاة، فقد أصبحَ مُحافظًا عليها مُلتزمًا بأوقاتها وأدائها

(1) رواه البخاري (10/4770 - فتح رقم 6035)

في المسجد. وخلالَ فترة التَّحول هذه؛ أستطيعُ أنْ أقولَ أنه تَغيَّرَ بما نسبته 80٪ أو قد تزيد!! فتحسَّنتْ معاملتُه معنا، وطالتْ فترةُ جلوسه في البيت، وهَدَأَتْ نفسُه، وابتعدَ عن العصبيَّة، وغير ذلك. كلُّ هذا التَّغيير الايجابي نحونا كان بفَضْل منَ الله، ثمَّ بسبب محافظته على أداء الصَّلوات.

وإليكم نموذجًا آخر، فعنْ أمِّ سلمة رضي الله عنه قالتْ: استيقظَ النَّبي ﷺ فقالَ: (سبحانَ الله ماذا أُنزلَ منَ الخزائن وماذا أُنزلَ منَ الفتن مَنْ يُوقظُ صواحب الحجر -يَقصدُ أزواجه- حتَّى يُصلين. ربَّ كاسية في الدُّنيا عارية في الآخرة).[1] والشَّاهدُ هنا حرصُه ﷺ على شأن الدِّين وتطبيقه في بيته ويَظهَرُ ذلكَ في حرصه على إيقاظ أزواجه كي يُصَلين.

ولعلِّي أسوقُ لكما نموذجًا آخر منْ نماذج عصر النَّبي الأكرم ﷺ فعنْ أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله إنَّ لفلان نخلة وأنا أُقيمُ نخلي بها فمُرْهُ أنْ يُعطيني إيَّاها حتَّى أُقيمَ حائطي بها، فقال النَّبي ﷺ (أعْطها إيَّاه بنخلة في الجنَّة)، فأبى وأتاهُ أبو الدَّحداح فقالَ: بعني نَخلَكَ بحائطي. قالَ: ففعلَ، فأتى النَّبي ﷺ فقالَ: يا رسول الله إنِّي قد ابتعتُ النَّخلةَ بحائطي فاجعلها لَهُ فقالَ النَّبي ﷺ: (كَمْ منْ عَذْق[2] دوَّاح لأبي الدَّحداح في الجنَّة) مرارًا، فأتي امرأتَه فقالَ: يا أمّ الدَّحداح اخرُجي منَ الحائط فإنِّي بعتُهُ بنخلة في الجنَّة.

---

(1) رواه البخاري (10/613 - فتح رقم 6218)

(2) العَذْق، بالفتح: النخلة

فقالَتْ: قدْ رَبحْتَ البيعَ أو كلمةً نحوها.[1]

ولنا في هذا الموقف عدَّة تأمُّلات منها:

- موقفُ هذا الزَّوج المتديِّن وكيف أنه قَبـلَ أن يبيعَ حائطَهُ بنخلة في الجنَّة، وأنَّه لْم يتلكَّأ بلْ كانَ ذا مبادرة اشتياقًا منه للجنَّة ونخلها وغراسها.
- موقفُ هذه الزَّوجة المتديِّنة إذ قَبلَتْ بهذا البَيع، وليسَ ذلكَ فحسب، بلْ إنها دَعَمتْ زَوجَها نَفسيًّا في مثل هذا الموقف الحرج، فقالتْ جُملتَها المشهورة « قد ربحتَ البيعَ»، ولمْ تقلْ كيفَ نَعيشُ بعدها؟ ولِمَ بعتَ ولَمْ تأخذ رأيي؟ لا لَمْ تقلْ كلَّ ذلك!!
- أنَّ مثلَ هذا العطاء الذي قدْ نتصوَّره بأنه بَسيطٌ، إلا أنَّه لا بدَّ أنْ نتفكَّرَ بعظَم جزائه عندَ الله عزّ وجلّ يومَ القيامة.
- هناك أعمالٌ كثيرةٌ في ديننا يمكنُ أنْ يتشاركَ فيها الزَّوجان بتطبيقها في حياتهما فتعودُ عليهما بالنَّفع والجزاء، ليسَ فقط في الآخرة بلْ وفي الدُّنيا قبلَ الآخرة. قال الشَّاعر:

ولا خير في الدُّنيا لمن لم يكنْ لهُ
مـن الله في دار المُـقـام نَصيبُ
فـإن تُعْجِبُ الدُّنيا رجـالاً فإنهُ
متاعٌ قليلٌ والـزَّوالُ قريـبُ[2]

---

(1) رواه مسلم وغيره.

(2) من شعر أبي مسهر. سير أعلام النبلاء (10/236)

وقال آخر:

إذا كنتُ أَعْلَمُ عِلماً يقيناً
بأَنَّ حياتي كساعَة
فلِمَ لا أكونُ ضَنينًا بها
وأجعلها في صَلاحٍ وطاعَة[1]

■ ■ ■ ■ ■

(1) من نظم أبي الوليد الباجي الإمام العلامة. سير أعلام النبلاء (18/542)

الرَّكيزةُ

2

تَطْويرٌ ذاتِي

تَطْويرٌ ذاتِي..

إنَّ تَطويرَ الذَّات أحدُ أهمِّ المطالب، وأساسًا مهمًّا منْ أُسُس النَّجاح في الحياة بشكل عام، وهذا التَّطويرُ يَنطبقُ على الفرد والأسرة بلا فَرق، وبالتَّالي فلا تَرَدُّدَ عندي مُطلقًا أنّ تدريبَ الفرد كما هو الحالُ بالنسبة للأسرة هو منَ الضروريَّات، لا كما يَظُن بعضُ النَّاس أنه تَرفٌ وشيءٌ منَ الكماليَّات.

وتطويرُ الذات يكونُ بالتَّدريب. وكم سَمعتُ منْ تغييرات إيجابيَّة ظاهرة للعيان قد حصلتْ في

حياة أناس، بسبب حضور دورة تدريبيَّة هنا أوهناك.

وبحُكْم أنني كنتُ مديرًا لإدارة البرامج التَّدريبية في مشروع ابن باز الخيري[1]فترةً منَ الزَّمن، فقد قُمنا بتنفيذ العديد منَ البرامج التدريبيَّة، سواءٌ في التَّطوير الذَّاتي أو في شؤون الأسرة بشكل عام. وكم جاءَني من اتصال وكم استلمتُ منْ رسالة يُبدي فيها مَنْ حَضَرَ مثلَ هذه الدَّورات عظيمَ امتنانه لتنظيم مثل هذه البرامج التَّدريبيَّة وتقديمها لأفراد المجتمع، التي كما يقولون لم يتوقعوا أن يستفيدوا منها كلَّ هذه الفائدة ويكونُ لها كلّ هذا الأثر على حياتهم!!

فما المانع الآن ومن خلال قراءتكما لهذه الرَّكيزة أنْ تتَّفقا أيُّها الزَّوجان الرَّاغبان في تطوير ذاتكما على حضور دورة تدريبيَّة في تطوير الشَّخصيَّة بشكل عام، أو في الشَّأن الأسري بشكل خاص.

حسنًا، ربَّما تقولان ظروفَكما الماديَّة قد لا تسمحُ بذلك، والتَّدريبُ مرتفعُ السِّعر!! فإن كنتما منْ قاطني منطقة الرِّياض أو ما جاورها فلعلِّي أطرحُ عليكما حضورَ الدَّورات التَّدريبيَّة المجانيَّة الَّتي تُقدَّمُ لأفراد المجتمع بلا استثناء منْ قِبَل مشروع ابن باز الخيري،[2] وأمَّا إنْ كنتما منْ خارجها

---

(1) مشروع ابن باز الخيري لمساعدة الشباب على الزواج في مدينة الرياض

(2) يمكنك التواصل في هذا الشأن بشكل مباشرعن طريق موقع المشروع على الشبكة العنكبوتية وهو www.alzwag.org ورقم الهاتف هو 012293333

ففي الغالب أنَّ هناكَ مراكزًا خيريَّةً تَهتمُّ بهذا الشَّأن. فمثلاً في الأحساء هناك مركزُ التَّنمية الأسريَّة، وفي المجمعة هناك مركزُ الإرشاد الأسري.

ثمَّ ينبغي ألاَّ يُقدح في ذهنكما أو يعتريكما الشَّكُ في كونها مجانيَّة بأنها لن تكونَ مفيدةً لكما!! [1]

• ومن خلال تجوالي في مُدن المملكة لتقديم الدَّورات التَّدريبيَّة، وَجدتُ أنَّ هناكَ وَعيًا لدى النَّاس لا بأس به بأهميَّة حُضور مثل هذا النَّوع منَ الدَّورات، ويتَّضحُ ذلك منْ حجم الإقبال الكبير منْ قبَل الرِّجال والنِّساء على حدٍّ سواء على حضورها.

< <<

ولاشكَّ أنَّ تطويرَ الذَّات وتدريبَها لهُ أثرُهُ الَّذي لا يُمكن أن يُنكرَهُ عاقلٌ. إذًا عليكما أيُّها الزَّوجان بالحرص على أخذ قدر منَ التَّدريب، فبه تتَّسعُ الآفاقُ، وتَتطوَّرُ الذَّاتُ، ويُفهَمُ الآخر ويُقْتَرَبُ منه، ويَتحسَّنُ الأداءُ في الحياة.

■ ■ ■ ■ ■

---

(1) أذكر مثلا في فترة إدارتي لإدارة البرامج التدريبية في مشروع ابن باز أننا استضفنا الأخ المدرب عثمان باعثمان، والأخ المدرب عبد الحميد الفردوس، والأخ المدرب هاني العبدالقادر، والأخ المدرب بشيت المطيري، والأخ المدرب صالح الدقلة، وغيرهم من الأسماء القديرة في عالم التدريب.

الرَّكيزةُ 3

التَّغييرُ الإيجابِيُّ مَسْؤُولِيَّتِي أنا !

التَّغييرُ الإيجابيُّ مَسْؤُولِيَّتِي أنا !..

> لا بُدَّ أن تُدركا أيُّها الزَّوجان الإيجابيّان أنه لكي تُرفرفَ السَّعادةُ عليكما فلا بُدَّ منَ الإيمان بهذه الرَّكيزة والَّتي مَفادُها: أنكما أنتما المسئولان عن التَّغيير الإيجابي في حياتكما.

وثمَّةُ معان في هذه الرَّكيزة يَطيبُ لي أن أُوضِّحَها لكما:

- إنَّ حياتكما بأيديكما أنتما لا بيد الآخَرين، وبالتَّالي فهي تَستحقُّ أن تَبذلا لها الكثيرَ

والكثيرَ من التَّفكير الهادئ والتَّخطيط والتَّنفيذ بما يَعودُ عليكما بالنَّفع والخير، وبالتَّالي فلا تَتصوَّرا أنَّ هناك مَنْ يستطيعُ أنْ يقومَ بالنِّيابة عنكما في أمر تصحيح أوضاعكما للأفضل، فمن خلال عَمَلي مستشارًا في شؤون الأسرة، أستقبل اتصالات عديدة يَطلبُ أصحابُها حُلولاً لمشاكل معيَّنة حصلتْ معهم، ومنْ ثَمَّ أقترحُ عليهم الحلولَ المناسبة، وفي كلِّ حالة يرى المتَّصلُ أو المتَّصلةُ أنَّ الحَلَّ المقترحَ صعبُ التنفيذ، ثمَّ أقترحُ عليه حَلاً ثانيًا!! وأيضًا يرى فيه مثلَ ما رَأى في الأوَّل بأنه حلٌ صعبُ التَّنفيذ، وحلاً ثالثًا وهكذا حتَّى يَجعلَ كلَّ الحلول المقترحة مغلقة!! فتأمَّلتُ مَليّا في الأمر، وتوصلتُ إلى أنَّ هؤلاء المشتكين لا يرغبون في بَذل أيِّ جهد لتغيير حياتهم للأفضل بحلِّ المشكلات التي تُواجههم. هنا تَتَّضحُ لكما أهميَّة هذه الرَّكيزة، فهذه حياتُكما، وأنتما المسئولان عن التَّغيير فيها بمَا يُحقِّقُ لكما السَّعادة.

- نعم، يمكن أن تستفيدا منَ المستشار أو المدرِّب أو القاضي أو إمام المسجد أو صديق مقرَّب أو نحو ذلك في طلب نصيحة أو مشورة، ولكن لنْ يُفَعِّلَ هذه الحلولُ المطروحةُ منْ قبَلهم في حال وجود إشكال ما إلا أنتما.
- إنّ في الحياة الأسريَّة تَغيُّرًا وتَغييرًا، عليكما بالسَّماح للإيجابيِّ منه والحذر منَ السَّلبي، ومنَ الطَّبيعي أنَّ أيَّ تغيير يَحدثُ في حياتكما

لابُدَ أن يَتطلَّبَ منكما بَذلَ جهد في التَّكيُّف والتَّأقلم معه، كي يَتحقَّقَ النَّجاحُ والاستقرارُ في حياتكما.

- من أُسس النَّجاح والتَّفوُّق في اعتقادي هو أن تَتحمَّلا مسؤوليةً أو قدرًا منْ مسؤولية التَّطوير والتَّغيير في حياتكما، وما أجملَ ذلكَ الخطاب النَّبوي الذي تَحدَّث فيه عن المسؤوليَّة بشكل رائع، فعنْ عبدالله بن عمر رضي الله عنه أنَه سَمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: (كلّكُم راع ومَسئولٌ عنْ رعيته: فالأميرُ الَّذي على النَّاس فهو راعٍ عليهم وهو مسئول عنهم. والرَّجلُ راع على أهل بيته وهُو مسئولٌ عنهم. والمرأةُ راعيةٌ على بيت بَعلها وولده وهي مَسئولةٌ عنْ رعيتها. والعبدُ راع على مال سيده وهو مَسئولٌ عنه ألا فكُلُّكم راع وكُلُّكم مسئولٌ عنْ رعيته)،[1] وفي هذا الحديث عُمومُ المسئوليَّة حتَّى إنَّ الإنسانَ مَسئولٌ عنْ نفسه، يأمُرُها بطاعة الله وينهاها عنْ مَعصيته وإنَّ منْ طاعة الله أنْ يسعى الإنسانُ إلى تغيير ذاته إيجابيًّا.

فيا -أيُّها الزَّوجان السَّعيدان- حَاولا أن تَتغيَّرا إيجابيًّا بما يُحقِّقُ لكما مزيدًا منَ التَّقارب والتَّلاحم والتَّفاهم في حياتكما وتَحمَّلا مسؤوليَّةَ ذلكَ وأنتما لها أهلٌ.

---

(1) رواه البخاري (5/211 - رقم 2554 فتح)

وفي حقيبتي التَّدريبيَّة عندما أطرحُ على المتدربين هذه الرَّكيزة، أُوَضِّحُها لهم كَمَن يحملُ معه مجموعةً منَ المفاتيح، فأَطرَحُ عليهم هذين السُّؤالين وأنا أحملُ مفاتيحي في يدي:

1. من الَّذي يحملُ هذه المفاتيح؟
2. ومن الَّذي يختارُ المفتاحَ المناسب منهم؟

إنَّه أنا، ولا أحد غيري!!
وهكذا أنتما اللَّذان تَحملان مفاتيحَكُما، وعليكما اختيارُ المفتاح المناسب، وتحريكه بالشَّكل الصحيح لتَحصُلا على التَّغيير المرغوب.

<<<

وبعد أن تَقرَّرَ الآن أنَّكما أنتما المسئولان عنْ حياتكما، هذا منْ شأنه أن يجعلَكُما أكثرَ حرصًا على تطوير ذاتكما، فشجِّعا بعضَكما وسَهِّلا على نفسَيكما المُضيّ قُدُمًا فيه، ورَتِّبا أمرَكُما إنْ كانَ لديكما أطفالٌ ومسؤوليَّات، بحيثُ تتناوبان على حضور ما يساعدُكما على تحقيق التَّغيير الايجابيِّ في حياتكما.

■ ■ ■ ■ ■

الرَّكيزةُ 4

الاهتمامُ باحتياجاتِ الطَّرفِ الآخر

الاهتمامُ باحتياجاتِ الطَّرَفِ الآخَر..

< اتصلتْ عليَّ إحدى الزَّوجات وكان اسمُها نورة، وكانتْ تشتكي منْ مصيبة المصائب وفاجعة الفواجع على حدِّ تعبيرها، كانتْ تشتكي منْ ضَرَّتها! تلك الضَرَّةُ الَّتي يُوليها زوجُها كلَّ الاهتمام، ويُتابعُ شؤونَها كلَّ المتابعة، وأمَّا هي فليس لها إلا أقل القليل منَ الوقت. ولَكُم أيهّا القرَّاء الأعزاء أن تَتخيَّلوا مَنْ تكونُ هذه الضَّرَّة!!

ولماذا تَسبَّبتْ في كلِّ مصائب تلك الزَّوجة؟

هل ذلك بسبب جمال ضرَّتها أم بسبب ثرائها؟

لا يذهبْ تفكيرُكم بعيدًا، فما هذه الضَّرَّة إلاَّ مجموعةٌ منَ السَّيّارات!!

ذلك أنَّ سعدًا زوجَها رجلٌ بَسَطَ الله له منَ المال ما شاء، فكانت إحدى اهتماماته هي حبُّ السَّيّارات الفارهة، وخاصَّةً السَّيّارات الرِّياضيَّة. إنه منشغلٌ كثيرًا بها، إذ أنه يَمتلكُ أربعًا منها. وممَّا تقوله نورة أنَّ زوجَها يَهتَمُّ بسيّاراته أكثر من اهتمامه بها.

فكان أن دار بيني وبينها هذا الحوار حيثُ سألتُها: لماذا لا تُشاركينه اهتمامَه بهذه السَّيّارات؟ فربَّما أصبح يَتَنبَّهُ إليك!

رَدَّتْ: أقول لكَ أنني أكرهُهُ وأكرهُ سيّاراته معه، وتقولُ لي شاركيه الاهتمامَ بسيّاراته!!

قلتُ: عفوًا أنا أُقَدِّرُ انزعاجَكِ ولكن قد يكونُ المدخلُ إليه للَفت انتباهه لكِ هو أنْ تُشاركيه اهتماماته، هذا جانب، والجانبُ الآخر هو أنكِ لا تكرهينه ولكن تكرهين سلوكَه أليسَ كذلك؟

قالتْ: نعم صحيح أنا لا أكرهُه ولكن أكرهُ سُلوكَه، بل إنني أحيانًا أبكي منَ القهر منْ كثرة ما يَغسلُها ويُمضي السَّاعتين والثلاث يَعتني بها، وأمَّا أنا فلا يجلسُ معي إلا نصفَ ساعة أو ساعةً على الأكثر، يمضيها في مشاهدة قنواته المفضَّلة، ومن ثَمَّ يَخرجُ إلى زُملائه.

قلتُ: مهما كان منْ ألم في نفسكِ إلا أنكِ بحاجة أن تُبادري إلى لَفْت انتباهه.

قالتْ: حسنًا سأُفكِّرُ في الأمر، وإنْ كنتُ غيرَ مقتنعة.

قلتُ: جميلٌ منكِ أن تَتعمَّدي التَّفكيرَ في شؤون حياتك.

قالتْ: سَأخبرُك بما يَجِدُّ إنْ شاء الله، وشكرًا لكَ وفي أمان الله.

ثُمَّ اتصلتْ عليَّ لاحقًا وقالتْ لي: إنني جلستُ أفكِّرُ في كلِّ ما قُلته لي... وبَدَا لي أنَّ فكرَةَ مشاركته في اهتماماته غيرُ جيِّدة، بلْ إنها ستكونُ سلبيَّةً منْ ناحية أنها ستجعلُهُ يَتمادى في شأنه باهتمامه بها، ثُمَّ إنني فكَّرتُ في شأن آخر، وهو أنَّني إنْ بَدَأتُ أُشعرهُ بشكل جريء بامتعاضي لسلوكه الجافِّ معي، وانشغاله بسيّاراته عنِّي، فسيعودُ لي ويَترُكُ سيّاراته. ومضَى على ذلك أسبوعًا كاملاً وهو كما هو، مع أنَّني أشعرتُه برفضي لتصرفاته!! ولكنْ كما قالَ الأول:

لقد أسْمعتَ لو ناديتَ حَيًّا
ولكنْ لا حياةَ لمن تنادي

وتكملُ حديثها قائلةً: بلْ إنَه أصبحَ أكثرَ جَراءة كما هي جَراءتي، إذ قالَ لي بالحرف الواحد: (إنْ أعجبَك سعد -وهو اسمُ زوجها- فأهلاً وسهلاً!! ما أعجبكِ سعد!! يمكنكِ أن تذهبي إلى بيت أهلك).

عندها بدأتُ أفكِّرُ جديًّا بأنْ أتَّخذَ أسلوبَكَ أيُّها المستشار، الَّذي نصحتني به سابقًا، وهو أنْ أُشاركَه اهتمامَه بها وإنْ كنتُ غيرَ مقتنعة تمامًا بهذا الأسلوب ولكنَّني أحببتُ أنْ أُجرِّبَ. كنتُ مرتبكةً، حيث أنَه يَعلمُ

مَدى كُرهي لهذه السيّارات، فكيفَ سيُصَدِّقُ مُشاركَتي له ذلكَ الاهتمام؟

وفعلاً بَدأتُ بالخُطوة التي كَمْ كنتُ أتمَنّى أنْ بَدأتُ بها منْ قبل. ولُمتُ نفسي على تأخري في التَّنفيذ لعدم اقتناعي باقتراحكَ وتوجيهكَ لي منذ البداية بأنْ أشاركَه اهتماماته.

فما الَّذي حَصَلَ مع نورة وزوجها سعد يا ترى؟

تقولُ نورة: في أحد الأيام كان عائدًا منْ عمله، وكالعادة تناولنا وجبةَ الغداء، ثمَّ دخلَ غرفتَه لينام، وكنتُ أعلمُ مُسبقًا أنَّ لديه دَعوةً على العشاء في أحد مطاعم برج المملكة، فَقَفزَتْ إلى بالي فكرةَ أنْ أقومَ بغسل سيَّارته سوداء اللَّون والتي منْ عادته أنْ يَستخدمَها في مثل هكذا دعوة، ونظرًا لأنَّ لونَها أسودٌ، فقد كان منَ الطَّبيعيِّ أن يَبينَ عليها الغُبار، وكنتُ أعرفُ أنه إذا استيقظَ منْ نومه فإنه سيَقومُ بغسلها. فسبقتُهُ وقُمْتُ بغسلها منَ الخارج جيدًا، حتَّى إنَّ الصَّابونَ السّائلَ الَّذي يُنظِّفونَ به عجلات السَّيّارة غسلتُها به، وقُمْتُ بكنسها منَ الدَّاخل بمكنسة البيت الكهربائيَّة، وجعلتُها تَلمعُ لمعانًا كأنها عروسٌ في ليلة زفافها. ولا أخفي عليكَ أنَّ هذه الخبرة اكتسبتُها منهُ شَخصيًّا، منْ كَثرة مُشاهدتي لهُ وهو يَقومُ بفعل ذلكَ. ولما انتهيتُ دخلتُ إلى البيت وكأنَّ شيئًا لم يكنْ.

واستيقظَ هو منْ نومه وكنتُ قد أعددْتُ له مشروبًا باردًا، حيثُ كنَّا نعيشُ أَشهُرَ الصَّيف الشَّديدة الحرارة، ومرَّ بي وأنا جالسةٌ أنتظرُهُ وهو مستعجلٌ، فدَارَ بيننا هذا الحديث:

نورة: سعد حبيبي...

سعد: نعم، ماذا تريدين؟

نورة: تعالَ اشربْ مَعيَ هذا العصير فقد جهَّزتُه وعصرتُه لكَ بيَديَّ.

سعد: أنا مستعجلٌ، وليس لديَّ وقت، أمْ إنكِ نسيتِ أنني مَدْعُو على العشاء هذه الليلة.

نورة: لن تتأخرَ كثيرًا إذا شربتَ معيَّ العصير!

سعد: أُفّ لكِ، أقولُ مستعجل وتقولين اشرب العصير.

تقول نورة: فسَكَتُّ، وتركتُه لشأنه يَذهبُ، وقُلتُ ماذا سيحدث له عندما يرى مفاجأتي التي خبَّأتُ له؟

وإذا به لمْ يتأخرْ كثيرًا، حيثُ عاد إليَّ وعلى وجهه علاماتُ الاستغراب والمفاجأة!!

سعد: نورة!

نورة: نعم ماذا تريد؟

سعد: مَنْ غَسَلَ السَّيّارة؟

نورة: مَنْ تَتوقَّعُ؟

سعد: لا تقولي بأنه أنتِ يا حبيبتي؟

نورة: بلى أنا التي غسلتُها.

سعد: معقولة أنتِ!! ألستِ تكرهين هذه السَّيَّارات وتَسبِّينها وتشتُمينها؟!

تقول نورة: فلا أدري ما فعل هذا الصنيع به!! فإذا به يأتي إليَّ ويُمسكُ بيَدي ويأخُذُني إلى السَّيّارة ويقولُ: أنتِ أصبحتِ أَحسن منّي في غَسْل وتنظيف وتلميع السَّيّارات!!

ثُمَّ طَبعَ قُبلةً على جبيني ويَداي، وهذه أوَّل مَرَّة يَفعلُها، فَدُهشْتُ وقُلتُ في نفسي سُرعان ما سينسى ما فعلتُ له، ثُمَّ أَبْدَى شُكْرُه لي، وطلبَ منِّي عَصيرَهُ، فشربَه، ثُمَّ خرجَ.

فشعرتُ أنني حقَّقْتُ نجاحًا ما، ولكن إلى أيِّ مدى يُمكن أنْ يكون؟ لا أدري!!

تُكملُ نورة قائلةً: ولمَّا عادَ إلى البيت وإذا به يَدخلُ عَلَيَّ مُلقيًا السَّلام ومتغزِّلاً، حاملاً بيده كيسًا فيُقدِّمُهُ لي ويقولُ: هذه هديَّةٌ لكِ، أجرُ غسل السَّيّارة اليومَ. وإذا أردته نقدًا دفعتُه لكِ. فأسرعتُ بفرح مخرجةً الهَديَّة منَ الكيس، فإذا هي ساعةٌ بقيمة **4000** آلاف ريال. هذه هي المَرَّةُ الثانية التي يُقَدِّمُ لي فيها هديَّة منْ بعد هديَّتي الأولى والَّتي كانت بعد زواجنا بأسبوع!! عندها أدركتُ أنَّ مشاركةَ الزَّوج اهتماماتُه هو المفتاحُ السِّحريُّ لقلبه وعقله وعواطفه ومشاعره، ولنْ أُفرِّط في هذا المفتاح طوال عُمري.

-انتهى كلامها-

فيا -أيُّها الزَّوجان السَّعيدان-، ليَكُن هذا المفتاحُ مَدخَلاً لكما لامتلاك قلوب بعضكما، فالقلوبُ لها مفاتيح، فلمَ لا تستخدمانها لخَلْق الحبِّ والتَّقدير بينكما عن طريق توسيع دائرة الاهتمامات المشتركة في حياتكما.

وهنا يحضرني مقولة للسباعي حيثُ قال في أحد لفَتَاته: (أعظمُ نجاح في الحياة أنْ تنجحَ في التَّوفيق بين رغباتكَ ورغبات زوجتكَ).[1]

والمشاركةُ ليستْ أمرًا جديدًا، فهذه أمُّ سلمة رضي الله عنها تشاركُ زوجَها محمد ﷺ مشكلتَه وإحدى همومَه، وتُوجدُ له الحلّ لمشكلة سَبَّبتْ له الهَمَّ والغَمَّ، وحارَ في حلِّها، وهذا الحلُّ ربَّما لَمْ يُبْصرْ النُّورَ لو كانتْ هي بعيدةً عنه في اهتماماته... ولو لَمْ تُفَكِّرْ بتفكيره.

ففي قصَّة الحديبية لَمَّا مَنعَ كفارُ قريش الرَّسولَ ﷺ الدُّخولَ إلى الكعبة وتمَّ الاتِّفاقُ على أنْ يكونَ الدُّخولُ في العام القادم قالَ الرَّسولُ ﷺ لأصحابه: (قوموا فانحروا، ثُمَّ احلقوا). قال الرَّاوي: فوالله ما قامَ منهم رجلٌ. قالَ الرَّسول ﷺ ذلكَ ثلاثَ مرات.

فلمَّا لَمْ يَقُمْ منهم أحدٌ. عندها لَمْ يكنْ منه ﷺ إلاَّ أنْ دخلَ على أمِّ سلمة رضي الله عنها فذكَرَ لها ما لَقيَ منَ النَّاس.

فقالتْ: يا نَبيَ الله أتحبُّ ذلكَ؟ اخرجْ ثُمَّ لا تُكلِّمْ أحدًا منهم كلمةً حتَّى تنحرَ بدنكَ وتدعو حالقَكَ فيحلقُكَ. فخرجَ فلمْ يُكلِّمْ أحدًا منهم حتَّى فعلَ ذلكَ، فلما رأوا ذلكَ قاموا فنحروا، وجعلَ بعضُهم يَحلقُ بعضًا حتَّى كادَ بعضُهم يقتلُ بعضًا غمًّا.[2]

وهنا ثمَّة تأمُّلات يَطيبُ لي أن أَلفتَ نظرَكما إليها:

---

(1) هكذا علمتني الحياة (ص: 16)

(2) رواه البخاري (5/391 - فتح رقم 2732)

* تأمَّلا في كيف أنه ﷺ لمـّا لمْ يستجبْ لأمره أحدٌ، تَوَجَّهَ مباشرةً إلى زوجه أمِّ سلمة علمًا أنَّ في القوم عمر بن الخطاب وأبو بكر،وهما مَنْ هما؟! فكان يستطيعُ أنْ يَجمعَهما ويأمرَهما بتنفيذ أمره بالتَّحلُّل، أو يتشاورُ معهما فيه. ولكنَّه ﷺ يريدُ أنْ يُعطينا نحن معاشر الرِّجال درسًا؛ بأنه لا مانع أيّها الزَّوجُ السَّعيد أنْ تشاركَ زوجتَكَ بما يُعكِّرُ صَفوكَ، أو يُضايُقُكَ في عملكَ أو يُشغل بالكَ بشكل عام.

* تأمَّلا في تصرُّف أمِّنا أمِّ سلمة رضي الله عنها حيث لمْ تكنْ سلبيةً فكان بمقدورها أنْ تطلبَ منه مثلاً انتظارَ الوحي ولكنَّها مباشرةً قالتْ له: (يانبي الله أتحبُّ ذلكَ؟ -أي أتحبُّ أنْ يستجيبوا لأمركَ؟- اخرجْ ثُمَّ لا تُكلِّم أحدًا منهم كلمة...) إذًا هي فكَّرتْ في كيفيَّة حلِّ هذا الإشكال وساهمتْ في معالجته باقتراحها عليه ذاكَ الحَلّ.

وفي هذا درسٌ لكِ أيتُها الزوجَة السعيدةُ بوجوب مشاركتكِ زوجكِ همومَه وأمورَه واهتماماته، وأنْ تتفاعلي معه بقَدْرٍ يُشعرُهُ بقُربكِ منه، ومَدى أهميته عندكِ. ولعلِّي أقولُ: إنَّ أعظمَ نجاح في الحياة الأسريَّة أن تَتشاركا اهتمامات بعضكما.

* أنه ليس منْ بأس في الاستماع لنصائح الزَّوجة وتَطبيقها، لاسيَّما إذا كانتْ تتَّصفُ بعقلها الرَّاجح، كما هو حالُ أمّ المؤمنين أمِّ سلمة رضي الله عنها.

وفي نفس السِّياقات السَّابقة عنْ جابر رضي الله عنه أنَّ امرأةً قالتْ: يارسول

الله ألاَ أجعلُ لكَ شيئًا تقعدُ عليه؟ فإنَّ لي غلامًا نجّارًا. قال:(إنْ شئتِ). فعملتُ له المنبرَ.[1] فهذا مؤشرٌ على الاهتمام باحتياجات الطَّرف الآخر، فكونُهُ رئيسَ قومه، ومُطاعًا فيهم، ويحتاجُ إلى أنْ يَخْطُبَ بالناس كلّ فترة وأخرى، جعلها تُفكِّرُ بطريقة تُسهِّلُ عليه القيامَ بمهامه، وتلبِّي إحدى احتياجاته.

<<<

وعندي رسالةٌ بسيطةٌ لمستُها منْ خلال تقديمي للدَّورات، ومن خلال المتصلين بي منْ طالبي الاستشارات أَوَدُّ أنْ أوجِّهَها إلى كلِّ زوجة، وهي أهميَّةُ اهتمام الزَّوجة بأمور الطَّبخ، وإعداد الطعام لزوجها وأولادها. وذلك لما لهذا الأَمر منْ تأثير إيجابيّ بالغ على حياة الزَّوج مع زوجته، لأنَّ إعدادَ الطَّعام بمهارة في البيت منَ الأمور الَّتي لا يُمكنْ أنْ يَستغنيَ عنها أيُّ زوج لأهميَّة ذلك لديه، ويُعتبرُ حجر أساس لا غنى عنه في الحياة الزَّوجيَّة السَّعيدة.

وأذكُرُ منَ الأمثلة على ذلكَ أنَّ أحدَهم حدَّثني قائلاً: كلَّما نَزلَ كتابُ طبخ إلى السوق، ألَحَّتْ عليه زوجتُه بشرائه، وإذا أطاعها واشتراهُ لها رغبةً منه في تحسُّن مُستواها في إعداد الطَّعام، ما تلبَثُ أنْ تَطبخَ منه طبختين أو ثلاث، ومنْ ثمَّ تُهملُهُ وتتركه في الدُّرج للغبار.

---

(1) (فتح الباري 1/647 - رقم 449)

الرَّكيزةُ
5

سِياسَةٌ فَعّالَةٌ

سِـياسَةٌ فَـعّالـةٌ..

< الَّذي أَقصدُهُ بهذه الرَّكيزة هو ما أسمِّيه في دوراتي التَّدريبيَّة بسياسة: أنا وأنت/ أنت وأنا.

وبما أنَّ طبيعةَ الحياة تَقْتَضي قَدْرًا منَ الخلاف والمشاكل بين الأزواج، وبالتَّالي فإنَّ هذه المشاكل لابُدَّ أنْ تَبقى حبيسةً بين الزَّوج وزوجته، ولا تَخرجْ إلى غيرهما، لا الزَّوجُ يُخبرُ أهلَهُ ولا الزَّوجةُ تُخبرُ أهلَها.

فكم تَدَخَّلَ الأهلُ بين الزَّوج والزَّوجة بـنيَّة الإصلاح، فانقلبَت النَّتائجُ سلبيَّةً على الجميع فحدثَ الطّلاقُ.

ولا أنسى عبد العزيز الَّذي اتَّصل بي يَستشيرُني في امرأة يُريدُ التَّقدُّمَ للزَّواج بها. وَلَفَتَ نظري وهو يتحدَّث معي إلى أمرين: الأوَّلُ أنَّ عُمرَه تسعٌ وثلاثون سنة والثاني: أنَّ لديه أربعةً منَ الأطفال منْ زوجته السَّابقة. والمشكلةُ أنَّ تلك المرأة رَفضتْ الزواجَ منه بحُجَّة أنَّ أولادَه معه، فماذا عساه أن يفعل!!

فدارَ بيننا هذا الحوار:

قلتُ: وأين أمُّ أولادكَ؟

قال: طلَّقتُها.

قلتُ: منْذُ كم سنة؟

قال: منذُ ثلاثة أسابيع.

قلتُ مستغربًا: منْذُ ثلاثة أسابيع فقط !!

قال: والله أنَّ كلَّ ذلكَ بسبب تَدخُّل أهلها في حياتنا!!

قلتُ: كيف حدث ذلكَ؟

قال: كنتُ في سفر خارج المملكة ومعي زوجتي السَّابقة وأبنائي وكنتُ اضطرُّ لمحادثة بعض النِّساء في الفنادق أو في بعض المنتجعات السِّياحيَّة -كَوْني أتحدَّثُ اللُّغةَ الإنجليزية- لأستفسرَ منهنَّ عنْ بعض الأمور. وكُنتُ

أحيانًا لا أستعجلُ صَرفَ نَظري عنْ بعضهن، وهذا خطأ أَعترفُ أنني وقعتُ فيه، وأسْألهُ تعالى أنْ يَغفرَ لي.

فلمَّا عُدنا إلى بلدنا فإذا بي أتَفَاجأُ بأنَّ أخاها يَتصلُّ بي هاتفيًّا ويقولُ: إنَّ أختي أخبرتني بأنكَ تَنظُرُ إلى النِّساء وتَتحدَّثُ معهنَّ، وأنَّ هذا تَسبَّبَ في مُضايقَتها، وأنتَ شخصٌ نظنُّكَ عاقلاً!! فإذا بكَ بهذا الشَّكل تكون!! وصوتُه مرتفعٌ واضحٌ فيه الانفعال.

عندها أُصبْتُ بصدمة ممَّا يقولُ!! حتَّى وإنْ كُنتُ مُخطئًا، فلا يَحقُّ لها أبدًا أنْ تُخبرَ أخاها بذلكَ.

قلتُ لأخيها: هل انتهيتَ؟

فقال: نعم، ولكن أجبني لماذا تقترفُ هذه الذُّنوب؟

قلتُ له بالحرف الواحد: الله يَأخذُ عُمْرَكَ ويَأخذُ عُمْرَ أُختكَ معكَ!!

فردَّ قائلاً: حَسِّنْ ألفاظكَ أيُّها (....) والله لنْ تجلسَ أختي معكَ دقيقةً واحدةً.

قلتُ: أختُك طالقٌ طالقٌ طالقٌ.[1]

فيا أيُّها الزَّوجان العاقلان احذرا أنْ تُفرِّطَا في سياستنا:

أنا وأنت / أنت وأنا، فهي سياسةٌ فعّالةٌ لحلِّ المشاكل بينكما، ومخالفتُها تُحدِّثُ نتائجَ وخيمةً عليكما. فكونا على حذر.

---

(1) وجهت الزوج في مثل هذه المسألة أن يستفتي الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية ،ذلك أن هناك خلاف فقهي في مسألة الطلاق ثلاثا دفعة واحدة، هل يقع أم لا؟

ومنَ النَّماذج التي تُوضِّحُ بشكل أكبر أهميَّةَ هذه الرَّكيزة قصَّةُ أختنا هند، والَّتي اكتشفتْ أنَّ زوجَها يَتحدَّثُ بالهاتف مع إحدى النِّساء، الأمرُ الذي جَعلها مباشرةً تُخبرُ أهلَها بتَصرُّفه، ممّا جَعَلَهم يَتدخَّلونَ بطريقة غير جيِّدة، إذ جاءَ أهلها وأخذوها منْ بيت زوجها. وبعدَ فترة منَ الزَّمن رَجعَتْ لزوجها وعادا إلى سابق وُدِّهما، إلاَّ أنه اشترطَ عليها ألاَّ يَدخُل إخوتُها بيتَه إلى الأبد.

<<<

وإنني أنبِّهُ إلى أمر في غاية الأهميَّة وهُوَ أنه في الغالب تزولُ المخاصماتُ الَّتي تَحدثُ بين الزَّوجين ولو بعدَ حين، فيتراضيان وينسيان ما حَدث. أمَّا إنْ تَدَخَّلَ في مشاكلهما أطرافٌ خارجية منْ أهل الزَّوج أو الزَّوجة، ففي الغالب بأنَّ الودَّ لا يَبقى كما كانَ بين الزَّوج وأهل الزَّوجة ولا بينَ الزَّوجة وأهل زوجها. فالأصلحُ ألاَّ يَتدخَّلَ أحدٌ منهم، إلاّ في بعض القضايا المتفاقمة بين الزَّوجين الَّتي عَجزا عنْ حلِّها.

الرَّكيزَةُ 6

أوْلِياءُ عُقَلاءُ

أَوْلِـيـاءُ عُـقَـلاءُ..

> إنَّ منْ سُنن الله في الكون عَدَمَ التَّوافُق الكامل بين خَلقه في كُلِّ الأمور، وهذا ما يُحدثُ قدرًا منَ الاختلاف فيما بين النَّاس بشكل عام، وفيما بين الزَّوجين بشكل خاصّ. لأجل ذلك قد يُضطرُ أحدُنا إلى أنْ يَتدخَّلَ بين النَّاس كَي يُنهيَ خلافًا أو يُصلحُ حالاً، وهذا مطلبٌ شرعيٌّ لا نقاش فيه، ولكنْ يَنصَبُّ اهتمامي الآن على الكيفيَّة الَّتي يَتمُّ التَّدخُّل فيها.

وبما أنَّ محورَ موضوعنا هو الأسرةُ، فأقولُ إنه يَجبُ على الزَّوجين أنْ يَعرفَا مَتَى يَقومَان بإدخال وسيط مباشر بينهما، سواءٌ مِنَ الأهل أو مِنَ المؤثرين. هذا منْ جانب، ومن جانب آخر يَجبُ أنْ يكونَ ذلكَ الوسيطُ ممَّن تتوافرُ فيه عناصرُ الإصلاح كالعقل والهدوء والاستماع الجيِّد والحكمة، وأنْ يَعرفَ الكَيفيَّةَ التي يتمُّ التَّدخلُ بها. ذلك أننا نريدُ الإصلاحَ لا الإفسادَ ونريدُ استمراريَّةَ العلاقة لا بترَها ودثرَها؟

وهذه أمُّ سعاد امرأةٌ ابْتُلِيَ زوجُها بشرب الخمر، ونتيجةً لذلكَ كانتْ تَحدثُ بينهما الكثيرُ منَ المشاكل لدرجة أنها لمْ تعدْ تحتملُ، فاتَّخذتْ قرارَها بأن تَعودَ إلى بيت أهلها بعد أنْ قامتْ باستشارتي في ذلكَ الأمر. إلاَّ أنني اشْتَرَطْتُ عليها عَدمَ إخبار أحد منْ أهلها بما هو واقعٌ فيه زوجها منَ الإثم، وأن تَجعلَ ذلك الأمر الورقةَ الرَّابحةَ التي تستفيدُ منها في المستقبل، فاقتنعتْ بذلكَ وفعلاً نفَّذَتْ ما تَمَّ الاتفاقُ عليه فكانت العاقبةُ لها ولزوجها حميدةً ولله الحمد.

تقولُ أمُّ سعاد: لـمّا سَألني أهلي عنْ سَبب الخلافِ فيما بيننا؟ لم أزدْ على أنه شيءٌ طبيعيٌ يحدثُ في كلِّ بيت، وبينَ كُلِّ زوجين!! وإنني بحاجة أنْ أبتعدَ عنه لبعض الوقت.

وأمَّا حال زوجي فقد كان في قمَّة القلق أنْ أكونَ قد أَخبَرتُ أهلي بأمره، وما كان عليه منَ الإثم. وفي إحدى الأيام حضرَ زوجي إلى بيت أهلي وقابلَ أبي وبدأَ بالحديث مُعتَذرًا عمّا بدرَ منه تجاهي. وممّا زادَه دَهشةً

أنَّ أبي لمْ يناقشْه في شيء!! إلا أنه قالَ له: يا أبا سعاد والله لا أدري لم تعتذر؟ والله لا أدري لماذا ابنتي هنا في بيتي!! ولكن إنْ كنتَ مُعتَذرًا فاعتذرْ منْ زوجتكَ. ثمَّ طَرحَ عليه نَصائحَ عامَّةً لإصلاح حاله معي، وقامَ أبي وأخذَ بيد زوجي وأجلسَه بجواري، ثُمَّ خرجَ وتركنا.

وكان أوَّلُ سؤال ألقاهُ زوجي عَليَّ: هل عَلمَ أهلُكِ بشربي للخمر؟

قلتُ: لا، لا أحد يعلمُ.

قال: والله لمْ أتصوَّرْ أنكِ ستُعاملينَني بهذا الشَّكل، ولكِ عَليَّ أنْ نخرجَ سويًّا الآن وأن أتَّجهَ مباشرة إلى أحد المستشفيات لأُعَالجَ نفسي ممّا أنا فيه منْ بلاء.

فقلتُ في نفسي والله ليسَ إلاَّ كلامًا لتُرجعَني إليكَ، ثُمَّ تَعودُ إلى ماضيكَ. فلمّا رآني مُطْرقَةً برأسي، عَرفَ أنني أحَدِّثُ نفسي فرفَعَ رأسي وقبَّل جبيني ثُمَّ قالَ لي:

يا أمَّ سعاد، سَتَرْتِ عَليَّ ذَنبي أمامَ أهلكِ وكان بمقدوركِ فضحي!!

يا أمّ سعاد، حَفظْتِ كَرامتي وكنتِ تستطيعين إهانتَها!!

يا أمّ سعاد، لقد قمتِ بعمل والله لا أنساه لكِ مطلقًا.

يا أمّ سعاد، لا تُطرقي برأسكِ، وثقي بأنني عازمٌ على التَّوبة والعلاج.

ثُمَّ اتصلتْ بي بعد حين منَ الزمن قائلةً: الآن مَضَى على عودتي إليه خمسةُ أسابيع، والحالُ قد تحَسَّنَ، وقد بَدأ فعلاً بالعلاج في إحدى المستشفيات، ولم أكُنْ أتَوقَّعُ أن تكونَ النَّتائجُ بمثل هذا الشَّكل.

فما أجملَ أنْ نكونَ على قدر هذا المستوى الرَّاقي في التَّعامل مع زوجاتنا وأزواجنا. وما أجملَ أنْ يكونَ آباءُ الزَّوجات بمثل والد (أمّ سعاد)، الذي لمْ يُفتِّشْ عن التَّفاصيل، ومن ثمَّ يَقفُ من زوج ابنته موقفًا شديدًا، وإنما تَدَخَّلَ بينهما بهدوء، وَوَجَّهَ له نصائحَ عامَّةً كما ذَكَرَتْ لي.

ويُقابلُ ذلكَ النَّموذج الرَّائع نموذجًا آخرَ مؤسفًا، يقولُ خالدٌ: حَصَلَ بيني وبين زوجتي خلافٌ ، مماجَعلها تخرجُ إلى بيت أهلها دونَ علمي. فلمَّا ذهبتُ لإحضارها استقبلَني أخوها وقالَ لي ما الذي جاءَ بكَ ؟! فدُهشْتُ منْ طريقة استقباله... وإذا بالموقف يَتَطَوَّرُ بشكل سريع كلمح البصر، وكلمةٌ منه وكلمةٌ منِّي فإذا بنا نتماسكُ بالأيدي ونُسْقطُ الرَّكلات على بعضنا منْ كلِّ جانب، ولمْ أنتبهْ إلاَّ وهو تحتي مُلقىً على الأرض، وإذا بي قد عَضَضْتُ أنفَه، لدرجة أنني ما أنْ قُمْتُ عنه بعد تَدخُّل الأخ الثاني،إلا وأنا أَمُجُّ الدَّمَ منْ فمي، ومعه قطَعٌ منْ جلده.

عندها تَقدَّمَ أهلُها بشكوى ضدِّي، وجاءَت الشُّرطةُ وأَخذَتْني، ونُقلَ هو إلى المستشفى، وأَجْرُوا له خياطةً للجرح بثمان غُرَز، وأصبحت القضيَّةُ جنائيَّةً، وبَقيتُ في السِّجن يومين اثنين، ومنْ ثَمَّ خَرَجْتُ بكفالة لحين صدور الحكم!!

فَفَرقٌ شاسعٌ بين النَّموذج السَّابق وهذا الأخير.

ولعلي أقفُ معكما -أيها الزّوجان العاقلان- على قبس منْ أقباس النُّبوة، وحادثة تُبيِّنُ أهميَّةَ هذه الرَّكيزة وهي قصَّةُ زوجين عاقلين منَ

المبشَرينَ بالجنَّة، فعنْ سهل بن سعد رضي الله عنه قالَ: جاءَ رسولُ الله ﷺ بيتَ فاطمة فلمْ يجدْ عليًا في البيت. فقالَ: (أينَ ابنُ عمِّك؟) قالتْ: كان بيني وبينه شيءٌ فغَاضَبَني فخَرَجَ فلمْ يَقِلْ عندي. .فقال رسولُ الله ﷺ لأحدهم: انظرْ أين هو؟ فجاءَ فقالَ: يارسول الله هو في المسجد راقدٌ. .فجاءَ رسولُ الله ﷺ وهو مضطجعٌ قدْ سقطَ رداؤُه عنْ شقِّه، وأصابَه تُرابٌ فجعلَ رسولُ الله ﷺ يَمسَحُه عنه ويقولُ: (قُمْ أبا تراب قُمْ أبا تراب).[1]

وثمَّةُ تأمّلات في هذا الخلاف الَّذي نشأَ بين هذين الزَّوجين الكريمين:

- إجمالُ فاطمة رضي الله عنها إذ أنها لَمْ تُفصِّـلْ في الإشكال الذي وقعَ بينها وبين زوجها، فلمْ تَزِدْ على أنْ قالتْ لأبيها ﷺ كان بيني وبينه شيءٌ فغاضبني، لله دُرُّها من امرأة حفظتْ كرامةَ زوجها ولله دُرُها من امرأة راعتْ مشاعرَ زوجها، ولله دُرُّها من امرأة لَمْ تُرِدْ تكديرَ مزاج زوجها، هذا منْ جانب، ومن جانب آخر سؤالٌ أطرحُه: مَنْ هو أبوها ؟ إنه محمد بن عبدالله ﷺ، فكونه رسولاً كان كافيًا لأنْ تُخبرَهُ بما حَصلَ بينهما، ولكنَّها كانتْ فَطنَةً ذكيَّةً حافظَةً للودِّ والعشرة.
- تَصرُّفُ والد فاطمة ﷺ حيثُ أنه لَمْ يُكثرْ منَ السُّؤال عن السَّبب الحقيقي لمثل هذا الخلاف!! بل قَبـلَ منها هذا الإجمال، وليس ذلك وحَسْب، بل أرسلَ شخصًا ليذهبَ ويبحثَ عنْ زوج ابنته، حينها

---

(1) رواه البخاري (1/637 – 441 فتح)

يا تُرى ماذا حدثَ لعَليٍّ رضي الله عنه منْ والد زوجته؟! ما كان منه إلاَّ أنْ تَوَجَّهَ إلى زوج ابنته مباشرةً لـمّا عَلمَ بمكانه، ثُمَّ جلسَ بجانبه، ومَسَحَ التُّرابَ عنْ جنبه، وأيقظَهُ منَ النَّوم مُلاطفًا إيّاه.

وهنا رسالةٌ مُوجَّهةٌ إلى الأولياء العقلاء، وهيَ أنه إذا تمَّ إشراكُكُم في أمر الخلاف، فلا بأْسَ بتدَخُّلكم، ولكن مع أهميَّة تقدير الزوجين واحترامهما. وإدراك أنه غالبًا ما تكونُ الزَّوجةُ تُريدُ زوجَها، والزَّوجُ كذلكَ يريدُ زوجته، فكونوا مُعينينَ على التَّهدئة، ولَمِّ الشَّتات.

وتذكَّروا ما حدثَ منْ قصَّة عَليّ وفاطمة ورسول الله ﷺ، وكيفَ أنه قامَ بمداراة (نَسيبِهِ)، ومحاولة تسكين غضبه.

>>>

تَصوَّروا هذا الحدث وكَشِّفوا الصُّورةَ والتَّأمُّلَ فيه، بأبي هو وأمِّي ﷺ، فإنَّ فيه لعبرة وعظة للزَّوجات، ولأولياء أمور الزَّوجات. حتَّى تَسْعَدُوا وتُسْعدُوا.

الرَّكيزَةُ 7

سَلْسَلَةُ الحِلْمِ

سِلْسِلَةُ الـحِلْم..

> ما منْ شَيء يُوقعُ في النَّفس النَّدمَ مثل الغضب. ومَا منْ شيء منْ شأنه أنْ يَهدمَ كلَّ علاقة ويجعلَ بينكَ وبين النَّاس بُعدًا ومسافةً مثلُ الغضب. فهو نارٌ مُتَّقدَةٌ تَحرق صاحبَها وكلَّ مَنْ حَولها، متطايرًا شرَرُها على الجميع. وهو عصا غليظةٌ تُسبِّبُ الأوجاعَ النَّفسيَّةَ لحاملها قبلَ أنْ تُصيبَ مَن استُخدمَتْ ضدَّهُ.

وكما قالَ ابنُ القيِّم: (إنَّ الغضبَ كلبٌ، إنْ أُفلتَ أَتْلَفَ).[1]

وما منْ شيء أَسعَدُ منْ أنْ تُوثِقَ غَضَبَكَ بسلسلة حلْمكَ. وأقصدُ بتعبير السلسلة: أي اجعلْ حلمَكَ على غيرِكَ مُتكرِّرَ الحدوث وبشكل مستمر على الدَّوام، وكأنه حلقاتُ سلسلة متَّصلة مترابطة لا تنفكُ عنْ بعضها.

ذاتَ يوم اتَّصلَ بي شابٌ، اسمُه فهد، متزوجٌ ولديه ولدان، يَذكرُ لي أنه حَصَلَ بينه وبين زوجته خلافٌ على موضوع الطَّبخ، فهو يُريدُ منها أنْ ترتَقيَ بمستواها في تجهيز الطَّعام وهي لديها شيءٌ منَ التَّكاسل في ذلك. وفي أحد الأَيَّام وهو عائدٌ منْ نوبته الليليّة -إذ أنه يعملُ في إحدى القطاعات العسكريَّة- دخلَ بيتَه، وبدَّل ملابسَه، وطلبَ منْ زوجته أنْ تُقدِّمَ له الطَّعام، وقد كانَ مرهقًا بشدَّة بعد يوم عمل مَيداني، وبينما هو يُقَلِّبُ بعض القنوات الإخبارية منتظرًا العشاءَ الدَّسم، إذ دخلتْ عليه بوجبة عشاء والذي سمّاه لي بأنه (نواشفٌ)!! فما كان منه إلاَّ أَنْ غَضبَ عليها، وصَرَخَ فيها، وقلبَ الإناءَ الذي كانتْ تحملُ به العشاء. فغَضبَتْ هي لذلكَ، ورفعتْ صوتَها، فَرَفَعَ هو صوتَه أيضًا، فذهبتْ تُتَمْتمُ بكلمات، ودخلتْ غرفةَ نومها غاضبةً، ولَيْتَه تَمْتَمَ هو أيضًا كما تَمْتَمتْ هي، ولكنَّه وماذا تتصوَّران أنه فعل!! لقد تَبعَها إلى الغرفة، يحملُ بيده حزامَه العسكري، وهي غيرُ مُصدِّقة أن يَسوءَ الموقفُ بينهما إلى هذا المستوى.

---

(1) الفوائد (ص: 69)

ولكما أنْ تتصوَّرا مدى الرُّعب الذي سَكَنَ قلبَها عندما دخلَ عليها حاملاً حزامَه وهو غضبان فقد قامَ بضربها فحاولت الدِّفاع عنْ نفسها فأخذتْ كأسَ ماء كان على طاولة في غرفتها، ورَمَتْ به عليه، فأصابَتْهُ في ر أسه، فتسبَّبَ لهُ ذلك بألم وجرح بالغ، فسَالَ الدَّمُ منه، ممّا جَعله يَنشغلُ بنفسه عنها، ويتوقَّفُ عنْ ضربها، فحانتْ لها فرصةٌ للهرب إلى الغرفة المجاورة، ثمَّ أغلقت البابَ على نفسها خوفًا من أنْ يلحقَها.

بعد عدَّة أيّام اتصلتْ زوجتُه بي، وأخبرتني أنَّ زوجَها طلبَ منها أنْ تستشيرَني، فذكَرَتْ لي المشكلةَ التي حصلتْ بينهما، وشدَّةَ غضب زوجها عليها، فدار بيننا الحوار الآتي:

قلتُ لها: وماذا تريدين أنْ تخبريني الآن؟

قالت: أنا نادمةٌ أشد النَّدم -تُكلِّمُني والعبرةُ تَخنقُها حتَّى لا أكادُ أستبينُ ما تقولُ- وأعترفُ بأنني وقعتُ بالخطأ في حَقِّ زوجي فهد، إذ أنه طلبَ منِّي عدَّة مرَّات بأنْ أهْتَمَّ بأكله خاصّةً في الأيام التي تكونُ لديه فيها نوبةٌ ميدانيَّة، وأنا استحقُّ ما حَصَلَ لي، إذ أنَني لمْ أهتمْ بذلكَ، وإنني دائمًا أجعلُه يغضبُ لسوء تصرفاتي وإهمالي. -انتهى كلامها-

طبعًا في قصَّة فهد وزوجته، حتَّى وإن اتَّفقنا بأنَّ الزَّوجةَ مُخطئةٌ في حَقِّ زوجها، إلاّ أنَّ زوجَها قد أخطأ في أسلوب المعالجة الذي اتَّخذَه في حقِّها!! فكان الأَولى أنْ يُعالجَ تقصيرَها في حقِّه بأساليب أخرى غير مؤذية، تَقتربُ منَ الحلم، وتبتعدُ عنْ نار الغضب.

وهكذا الحالُ معَ الغضب يُريكَ ما تكره، ويَضعُكَ في أضيق الأماكن.

وهكذا الغضبُ يُسمعُكَ ما لا تُحبُّ أنْ تَسمعَه.

وهكذا الغضبُ يُوردُكَ مواردَ الزَّلل...

فإنْ كُنتَ مُصَمِّمًا على الغضب، فاغضبْ كيفما تشاء، ولكن ثقْ ثقَةً تامَّة أنك ستتصَرَّفُ بطريقة ليستْ كما تشاء. وأنَّ النتائجَ لنْ تأتيَ كما تشاء على الدَّوام. والنَّدمُ هو نهايةُ الطَّريق.

وهنا نستحضرُ تلكَ الوصية العظيمة منَ النَّبي العظيم ﷺ لأحد الرِّجال إذ يقولُ: قالَ يارسول الله أوصني ؟ قالَ: (لا تغضبْ). قالَ أوصني، قالَ: (لا تغضبْ) قالَ أوصني: قال: (لا تغضبْ). فكرَّرَه عليه ثلاثًا.[1]

وما ذاكَ إلاَّ لأهميَّة البُعد عن الغضب، وأنْ يَعتبرَهُ كلُّ واحد منَّا مُصيبةً كبيرةً قد تُودي به إلى المهالك.

وقد يَتَبادَرُ إلى ذهننا سؤالٌ نَتوقُ أنْ نَعرفَ إجابتَه وهو: إذا غضبَ زوجي -زوجتي- هل أؤاخذُهُ على ما يقولُ؟

هنا أتركُ الجوابَ لحكيم منَ الحكماء، وعاقل منَ العقلاء، إذ قالَ في

---

(1) رواه البخاري (10/535 - 6116 فتح)

علاج الغضب: (متَّى ما رَأيتَ صاحبَكَ قد غضبَ، وأخذَ يَتكلَّمُ بما لا يَصلُحُ، فلا يَنبغي أنْ تَعقدَ على ما يقوله خنصرًا، ولا أنْ تُؤاخذَه به، فإنَّ حالَه حالُ السَّكران لا يدري ما يجري. بلْ اصبرْ لفورته ولا تعوِّل عليها فإنَّ الشَّيطانَ قد غلبَه والطَّبعُ قد هاجَ والعقلُ قد استترَ...).[1]

<<<

ولأُذَكِّركما بما قيل: إنك تخطو نحو الشَّيخوخة يومًا مُقابلَ كلّ دقيقة غضب.[2]

وهذه الحالة ينبغي أن تَعيها الزَّوجةُ عند غضب الزَّوج، فتَتْرُكُه يَتَشَفّى بما يقولُ ولا تعوّل على ذلكَ فسيعودُ نادمًا معتذرًا.

فالله الله التَّثبت التَّثبت في كلِّ الأمور والنَّظر في عواقبها خاصَّةً الغضب المثير للخصومة وتعجيل الطَّلاق بين الزَّوجين.[3]

(1) صيد الخاطر (ص: 257)

(2) متعة الحديث (ص: 60)

(3) صيد الخاطر (ص: 333)

الرَّكيزةُ 8

احْتِرامُ الذّاتِ

اِحْـتِـرامُ الـذّاتِ..

> الذَّاتُ الإنسانيَّةُ في أصلها كائنٌ مُحترمٌ كريمٌ في كلِّ زمان ومكان، كما قالَ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1] أي جعلنا لهم كرماً، أي شرفا وفضلاً.

وإذا سلَّمنا بهذا فثمَّة سؤال يَطرحُ نفسَه وهو:

(1) سورة الإسراء (آية رقم: 70)

إذا صَدَرَ منْ زوج أو زوجة أمرٌ مزعجٌ ومرفوضٌ فممَّ نستاءُ؟ وعلى مَنْ نغضبُ؟ والجوابُ على ذلك: أنه إنْ صَدَرَ ما يُزعجُنا منْ غيرنا في حقنا، فإنه يَجبُ أنْ نَستاءَ وننزعجَ منَ السُّلوكِ لا منَ الذَّات. ذلكَ أنَّ الذَّاتَ الإنسانيَّةَ تَبقَى مُحترمةً وكريمةً، وأمَّا السُّلوكُ فقد يُجانبُهُ الصَّوابُ، ويَقَعُ في التَّخَبُّط والخَلَل. ومع كون الصِّراع والاختلاف شيئًا طبيعيًّا في حياة الزَّوجين، فعندها أقولُ: يا أيها الزَّوجانِ المحترمان تخَاصَما واخْتَلفا، ولكنْ احْتَرما ذاتكما، وإيّاكما ثُمَّ إيّاكُما أنْ تقَعا في تَحقير ذات الآخر، فتزل الأقدامُ، وتَبلغ القلوبُ الحَناجرَ، فتَندمان أشدَّ النَّدم ولاتَ مَنْدَم.

ومنْ مشكاة النُّبوة نَقفُ سَويًّا لنتأمَّلَ كيفَ أنه ﷺ أَسَّسَ قاعدةَ احترام الذَّات، ليسَ تأسيسًا نَظريًّا، بَلْ وبتَطبيق عَمَليٍّ. فقد رَوَى ابنُ عباس رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ مَرَّ وهو يَطوفُ بالكعبة بإنسان يَقُودُ إنسانًا بخزَامَة[1] في أنفه، فقَطَعَها النَّبي ﷺ بيده، ثُمَّ أمَرَه أن يقودَه منْ يَده.[2]

ولي تَعليقان على هذا الحدث:

1. يتَّضحُ منَ النَّصِّ أنَّ الإسلامَ شَرَعَ احترامَ الذَّات لأيِّ إنسان مهمَّا كانَ حَالُهُ عاقلاً أو مُتَخلفًا. فهذا الشَّخصُ الَّذي كانَ يُقادُ منْ أَنفه هل تَراهُ بكامل قُواهُ العَقليَّة ليقبلَ أنْ يُقادَ بهذا الشَّكل المُهين!! مَا منْ شكٍّ أنهُ لَمْ يَكنْ كذلكَ وإلاَّ لمَا قَبلَ!! فكيفَ بمَنْ كانَ عاقلاً،

---

(1) هي حلقة من شعر أو وبر، تُجعلُ في الحاجز الذي بين منخري البعير. يُشدُّ فيها الزِّمامُ ليَسهلَ انقياده إذا كان صعبًا. (فتح الباري 11/597)

(2) رواه البخاري (11/594 - رقم 6703 فتح)

واعيًا، راشدًا؟ لا شَكَّ أنه أَوْلَى بالاحترام. إذًا في هذا السُّلوك والتَّوجيه السليم منْ النَّبي الكريم ﷺ إعلانٌ للبشرية جَمعاء بأنَّ الذّاتَ الانسانية لابُدَّ أنْ تُحْتَرم، حتَّى وإنْ كانتْ أوضاعُ الطَّرف المُقابل غيرَ مناسبة، أو كانَ مُتَخَلِّفًا عَقْليًا.

2. تأمَّل كيفَ أنَّ رسولَ الله ﷺ عبَّرَ عن احترام الذَّات ورفضه التَّام لإهانة كرامة الإنسان بأنْ باشَرَ القطعَ بيده الكَريمة، وبعدَ مُباشَرَة القَطْع وَجَّهَ صاحبَهُ كلاميًّا بأنْ يقُودَهُ منْ يَده، هذا جانب، والجانبُ الآخر أنه لمْ يَأمرْ مَنْ كانَ يَقودُهُ بأنْ يَقطَعَ الحبلَ بنَفْسه، ولمْ يَأْمُرْ أحدًا ممَّنْ كانَ معه منَ الصَّحابة بأنْ يَقْطَعَهُ بلْ قامَ بفعل القَطْع بيده الكريمة!! وبعدَ أنْ قَطَعَهُ بيده بَيَّنَ لَهُ كَيفيَّةَ القيادة الكريمة للإنسان وهُوَ أنْ تكونَ القيادَةُ منَ اليَد، حيثُ يُعتبرُ هذا الفعلُ تعبيرًا عَمليًّا عن احترام ذات الإنسان.

<<<

وكذلكَ الأمرُ بالنسبة لكما أيُّها الزَّوجان عليكما باحترام ذاتكما، وإن حَصَلتْ دَواعي الغضب، فَليَكُنْ غضبًا من السُّلوكيّات الخاطئة فقط.

ولتُدْركا أنَّ احترامَ ذات الطَّرف الآخر تكونُ بالابتعاد عنْ كيل السِّباب والشَّتائم له، وابتعدا عنْ ذكر النَّقائص إذا كانَ ذكرُها على سبيل التَّندُر والاستهزاء والاحتقار. أمّا إنْ كانَ بقصد التَّحسين والتَّطوير فلا بأسَ بذلك، بـقَدْر مُعيَّن، لا على سبيل الإطلاق والتَّمادي.

■ ■ ■ ■ ■

الرَّكيزةُ 9

اسْتخْراجُ ما بالنفْس

مَهارَةٌ

اسْتِخْراجُ ما بالنفْس مَهارَةٌ..

إنَّ منَ المُسلَّمات في حياتنا أنَّ بقاءَ الحال منَ المُحال، فقدْ يَعتَري الإنسانَ اختلافٌ وتَعكّر في المزاج، بسبب حُدوث مشكلة في العمل مثلاً أو معَ صديق، وبالتَّالي فإنَّ رُجوعَ الزَّوج إلى بيته والحالة ما ذكرناها، تَعني أنَّ لَدَيه مشاعرَ مكبوتةً أو نحو ذلكَ، فإنْ لم تَنتَبهْ الزَّوجةُ لحال زوجها عندَ عودته لبيته، فإنَّ ذلكَ قدْ يَتسَبَّبُ في انزعاج للطَّرفين. ولذلكَ نَنْصَحُكِ -أيّتها الزَّوجة الكريمة- بأنْ

تُدْركي الوَضعَ وتُحاولينَ أنْ تُخَفِّفي منْ مشاعر زَوْجِكِ السَّلْبيَّة. وإنْ اسْتَطَعت ذلكَ فَثقي ثقَةً تَامَّةً بأنه سَيَشْكُرُ لك هَذا الصَّنيعَ، ولنْ يَنسَاهُ أَبَدًا.

وإليكِ قصَّةُ وليد، فهُوَ مُوظَّفٌ في إحدى الدَّوائر الحُكوميَّة حَصَلَ بَينَهُ وبَينَ مُديره خلافٌ مما جَعَلَهُ يَسمعُ منه مَا يُزعجُ نفسه ويُكَدِّرُ صَفوه. فلمَا عادَ إلى البيت كانَ وكأنهُ شُعلَةُ غضب يَتَطايَرُ شرَرُها، فلما دخلَ البيتَ وكانَ منْ عادته أنْ يَجدَ زوجتَهُ في استقباله، لَمْ يَجِدْهَا كذلكَ، حيثُ كانتْ تُرضِعُ صَغيرَها، فلَما رَآهَا على هَذا الحال، بَدَأ بالصُّراخ مُطْلقًا مَشَاعرَ غَضبه كَأَنها صَواريخُ تَضربُ في كُلِّ اتجاه مُتَّهمًا إيَاهَا بالتَّقصير، وعدم حُسْن التَّبَعُّل لَهُ، وأنَّ النَّاسَ تَفهمُ... وهيَ لا تَفهمْ!! وأنها... وأنها... فَما كانَ منْ زوجته إلاَّ أنْ أَدْرَكَتْ أنَّ الأمورَ سارَتْ معه هذا اليوم على غير مَا يُرام. فتركت ابنَها وطلبتْ منْ خادمتها الاهتمامَ به إلى حين.

فَما كانَ منْها إلاَّ أنْ ذَهبَتْ مُباشرةً إلى زَوجها وقَبَّلَتْ جَبينَهُ ثُمَّ جَهَّزَتْ لَهُ الحمَّامَ -إذْ أنَّ عَادَتَه الاستحمام عند عودته منْ عمله- وَلما انْتَهى، أَوْلَتْهُ جُلَّ اهتمامها منْ كلمات طَيِّبة، وَقُبلات حَنونة، ومُعامَلَة رَقيقة. ثُمَّ جَهَّزَتْ لَهُ وَجْبَةَ الغداء، وكانَ الطَّبق المفضَّل الَّذي يُحِبُّهُ بَعدَها تَوَجَّهَ للنَّوم، فنامتْ قَيلولةَ الظَّهيرة بجواره، وهيَ تَحتَضنُهُ عَلى غَير عادَتها في مثل هَذا الوَقْت، حيثُ كانتْ تَجْلسُ معَ أَولادهَا لتُذاكرَ لَهمْ دُرُوسَهم، ولكنْ أَرادَتْ أنْ تُشْعرَهُ بأنها مَعَهُ وقريبة منْه. وَعَرفَتْ بفطْنَتها وَذَكائها أنَّ هُناكَ خَطْبًا ما قدْ

حَصَلَ، جَعَلَ زَوجها يَصبُّ جَام غَضَبه عَليها بدون أيِّ مُبَرِّر.

فَلمّا حانَ وقتُ المساء، وبعدَ أنْ تَناوَلا طعَامَ العَشاء، ونَامَ الأولادُ وَهَدَأَ البيتُ، وَجَدَ وليد حُنُوًّا مُفرطًا عَلى زَوجته، جَعَلَهُ يُقبِّلها وَيَشْكُرها، وَيَتأَسَّفُ عَلى ما بَدَرَ منهُ عند عودته منْ عَمَله، وقليلاً قليلاً، أَخبرَها بالمشكلة التي حَدثتْ بينَه وبينَ مُديره. وطَلبَ رَأيَّها في كَيْفيَّة التَّصرف لحلِّ هذه المشكلة!!

وهنا أقولُ لكُل زوجة سعيدة عاقلة وحكيمة لابُدَّ أنْ تُدركي فائدةَ تطبيق هذه الرَّكيزة، وليسَ ذلكَ فحسب، بلْ وتُتْقنينها. فلا يَعني رجوعُ زوجك منْ عمله وهو غضبانٌ بأنهُ يَقصدُكِ أنتِ بتصرفاته القاسية، أو كلامه الجارح، ولكن ما يحصلُ معه هو أنهُ قد لا يستطيعُ إخراجَ غضبهُ على مَنْ شاكَلَهُ أو آذاهُ، فيُحاولُ التَّفريغَ قليلاً عمّا في نفسه فيمَنْ يُقابلهم في بيته. فلا مانع إذًا منْ أنْ تستخرجي ما بنفسه منْ غضب بذكاء وهدوء ولطف وتَفهُّم.

ولعلَّنا نقفُ سَويًا عَلى نموذج منْ نماذج السِّيرة الكريمة، يَتَّضحُ فيه كيفَ أَتْقنَ ﷺ استخراجَ مشاعر أحد أصحابه وهو غضبانٌ، وحَوَّلَ مشاعرَهُ منْ حالة إلى حالة أخرى، فعن المسْوَر بن مَخْرَمَة رضي الله عنه بأنه قال: قَدمَتْ على النَّبي ﷺ أَقْبيةٌ أي ثياب (ولمْ يُعطِ مَخْرَمَةَ منها شَيئًا) فقالَ مَخرَمَةُ لابنه: يا بُنَيَّ انطلقْ بنَا إلى رسول الله ﷺ (عَسَى أنْ يُعطينا منها شَيئًا) فانطلَقْتُ مَعَهُ، فقامَ أبي على الباب فتكَلَّمَ فعرفَ النَّبي ﷺ صوتَهُ فخرجَ إليه

ومعهُ قباءٌ وهو يُريه محاسنَهُ وهوَ يقولُ: (خَبَّأْتُ هذا لكَ، خَبَّأْتُ هذا لكَ).
قالَ: فنظرَ إليه وقالَ: رَضيَ مخرمةُ.[1]

وثمَّةُ تعليقات على هذا النَّموذج:

- أنَّ رسول الحقِّ والهُدى ﷺ استطاعَ أنْ يَعرفَ بفطنته وذكائه ما كانَ في نفس مَخرمَة منْ كلامه وهو على الباب فلَمْ يَخرجْ إليه ويدَيه فارغة، بلْ أسرعَ في الخروج إليه وهوَ يَقولُ لَهُ: (خَبَّأْتُ هذا لكَ) يُكرِّرُها عليه مرتين لإرضائه!!
- هذا الموقف فيه معان رائعة لكما -أيها الزَّوجان الكريمان-، ذلك بأنه عليكما أنْ تكونا على قَدْر من الفطنَة والذَّكاء، بحيثُ تستطيعان أنْ تُمَيِّزَا حالةَ بعضكما منْ صوتيكما، فتعرفان صوتَ فرَحكما وحُزْنكما وغَضبكما، وارْتيَاحكما... لا أنْ تكونا بَليدَي الإحساس، بارِدَي المشاعر.
- من المعروف أنَّ مَخرمَة كان أعمى ولدَيه حدَّةٌ في طَبعه، ومعَ ذلكَ كانَ الرَّسولُ ﷺ مُتقَبِّلاً حدَّةَ طبعه، بلْ واستطاعَ أنْ يَقومَ بتَغيير تَفكير مَخرمَة السَّلبي -وهو بأنَّ الرَّسولَ ﷺ تعمَّدَ تَجاهُلَه حيثُ لمْ يُرسلْ لهُ نَصيبَهُ منَ الأقبية- إلى تفكير إيجابي بأنه شَخصٌ مهمّ عند رسول الله ﷺ وأنه لمْ ينسَهُ بالعَطية، ممَّا أدَّى إلى تَغَيُّر مشاعر الغضب السَّلبية لديه إلى مشاعر إيجابية عبَّرَ عنها بالرضا، والله تعالى أعلم

---

(1) صحيح البخاري (3/313 - فتح الباري رقم 2657 -263 رقم 2599) القباء: حُلةً أو ثوب وهو كالجبة أو ما يعرف عندنا بالدُّقلة.

فربما أنَّ مَخرمةَ قد جاءَ وهو غضبانٌ أو في نفسه شيءٌ دونَ الغضب، وكَأنهُ نوعٌ منَ الاحتجاج، ولذلكَ قالَ مَخرمَةُ في آخر الحديث عنْ نفسه: (رَضيَ مَخرمَة).

- لذلكَ لابَدَّ إنْ كان أحدُ الزوجين يَمُرُّ بمَرحلة غضب أو عَدَم رضا أنْ يَتَقَبَّلَ الطرف الآخر ذلكَ منه، وأنْ يقومَ بتغيير التَّفكير السَّلبي لشريكه حتى يصلَ به إلى تغيُّر مشاعره السلبيَّة إلى مشاعر إيجابيَّة. ذلكَ أننا إذا اسْتَطَعْنَا أنْ نُغيِّرَ التَّفكير؛ تَغيَّرَتْ تَبَعاً لذلكَ المشاعر.

ولابُدَّ أيضًا منْ إرهاف حواسنا وإدراك ما يجري حولنا، ولنَتَأمَّلَ كيفَ أنه ﷺ عَرفَ حالَ صاحبه منْ صوته فقط ولمْ يَنْتَظرْ حتَّى يَخرُجَ إليه ويَسْألَهُ مَا به؟ ولماذا أتى؟ بلْ مُباشَرَةً أحَسَّ بمُراده، وأسرعَ في إحضار طلبه.

<<<

فيا أيُّها الزَّوجان كونا ماهرين باستخراج ما في أنفس بعضكُما عندَ مرور أحدكما بـهَمٍّ أو غَمٍّ أو ضيق. وخَفِّفا عنْ بعضكما، ومَيِّزا أحْوالَكما منْ صَوْتيكما، وَتَساندَا وَطَيِّبا أنفسَكُما... تَطيبُ لكما الحياةُ.

الرَّكيزةُ 10

أَطْلِقْ عِنانَ المَشاعِرِ الطيِّبَةِ

أَطْلِقْ عِنانَ المَشاعِرِ الطِّيِّبَةِ..

من المعروف أنَّ نفسَ الإنسان تَتكَوَّنُ منْ ثلاثة عناصر مُجْتَمعَة لا انفكاك بينهم: المشاعرُ والتَّفكيرُ والسُّلوكُ.

وسأتناولُ بالطَّرح أحدهم وهيَ: المشاعرُ.

وبما أنها منْ مُكوِّنات نفس الإنسان، فمنَ الطَّبيعي أنها تَزيدُ وَتَنقُصُ منْ شخص إلى آخر.

والذي أعتقدُهُ أنه يَجبُ على كلِّ واحد منّا أنْ يُحَرِّرَ مَساحةً لا بَأسَ بها للمشاعر في نفسه.

فهذا رسول الله ﷺ مع عظمته وعُلُوِّ مَكَانته وكثرة أعماله كانَ يُعَبِّرُ عنْ مشاعره أمامَ أصحابه بكل سهولة. ألَمْ يَبْكِ عندما ماتَ الصَّبيُّ بينَ يَديه؟ ولمّا استغربَ مَنْ حَوْله بُكاءَهُ قالوا ما هذا يا رسول الله؟ فقال: (هذه رحمةٌ جَعلَها الله في قلوب عباده، وإنما يَرْحَمُ الله منْ عباده الرُّحماء).(1)

ثُمَّ ألَمْ يُلاعب الأولادَ الصِّغار كَما حَصَلَ معَ الحَسن والحُسين؟

ولعلِّي أقفُ عَلى نموذج واحد في هذا الصَّدد، فعنْ جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا قُتل أبي جَعَلْتُ أكْشفُ الثوبَ عنْ وَجْهه أَبْكي وَيَنْهُوني والنَّبي ﷺ لا يَنهاني فجَعَلَتْ عَمَّتي فاطمة تَبكي فقالَ النَّبي ﷺ: (تَبكينَ أو لا تَبكين مازالتْ الملائكةُ تُظلُّهُ بأجنحتها حتَّى رَفعتُمُوهُ).(2)

ولنُعلِّقَ عَلى هذا الموقف المُحْزن:

* كيفَ أنَّ الصَّحابةَ يَنهونَ جابرًا عنْ كشف وجه أبيه! وليسَ ذلكَ فحَسْبْ، بلْ ويَنْهَونَهُ عن البُكاء وأمّا النَّبي ﷺ فقدْ كانَ صَامتًا بلْ إنَّ هذا الصَّمتَ هُوَ حديثٌ!! فكَأنَهُ يُريدُ أنْ يَقولَ عَبِّرْ عنْ مَشَاعركَ ياجابر كيفما تشاءُ، واكشفْ عنْ وَجه أبيكَ وابْكِ على فَقْده.

* تَأمَّلاْ أيهّا الزّوجان الرّفيقان كيف أنه ﷺ قدْ هَدَّأَ منْ روع فاطمة، لمَّا رَآها تَبْكي حيثُ قالَ لَها: تَبكينَ أوْ لا تَبكين، مازالتْ الملائكةُ تُظلُّهُ بأجنحتها، وفي هذا تسليةٌ لَها وتَسكينٌ لفَوْرَة حُزْنَها.

---

(1) صحيح البخاري (3/180 - فتح الباري رقم 1284)

(2) صحيح البخاري (3/137 - فتح الباري رقم 1244)

وإليكما قصَّةُ امرأة قدْ قاربَ سنّها الخمسين عامًا، حيث اتصلتْ بي في يوم منَ الأيام تقولُ أنه مَضَى على زواجها خمسٌ وعشرونَ سَنة، وأنّها تَشتكي منْ زوجها بعضَ تصرفاته... فكانَ أنْ وَجَّهْتُها إلى أنْ تأخذَ بأسلوب التَّجديد، وتَفعيل المشاعر الطَّيبة فيما بينهما. فما أنْ أَكْمَلْتُ حَديثي حتَّى ضَحكَتْ ثُمَّ قالتْ: والله يا شيخ أنَّ لي خمسًا وعشرين سنة معهُ لمْ يُعَبِّرْ لي عنْ حُبِّه يومًا منَ الأيام ولو بكلمة واحدة!! فلا أَذكرُ مَرَّةً منَ المرّات أنهُ قالَ لي: ياحبيبتي. قُلتُ وأنتِ هلْ قُلتِ لهُ: ياحَبيبي؟ فأجابتْ قائلةً: لا أكذبُ عليكَ فأنا لا أذكرُ أني قلتُها لهُ أيضًا!!

فبالله عليكما إذا كانَ هذا أبْسَط شيء يُمكن أنْ يُقالَ في الحياة الزَّوجيَّة بينَ الزَّوجين للتَّعبير والإفصاح عن المشاعر الطَّيبة، فكيفَ إذًا سيكونُ الحالُ، وإلى أينَ المآل؟!

<<<

حقًا نحنُ بحاجة أنْ نسمَحَ للمشاعر بالخروج، وليسَ ذلكَ فَحَسْب، بلْ وبمُلاطَفَة المَشاعر الحزينة وتَسْكينها وإنْ كانتْ مَشاعرَ فرح فليَكُنْ دَورُنا الفرحَ معها.

فاحْرِصَا -أيها الزَّوجان الرَّفيقان- على التَّعبير عنْ مَشاعركُما في كلِّ الأحوال، سواءٌ في حال الحزن أو الفرح.

■■■■■

الرَّكيزةُ 11

الرِّفْقُ رأْسُ الحِكْمَةِ

الرِّفْقُ رَأْسُ الحِكْمَةِ..

> إننا عندما نَتحدَّثُ عن الرفق فإننا نَتحدَّثُ عنْ خَصْلَة عَظيمَة يَحْسُنُ بالإنسان التَّحلي بها. ومنْ الغريب أَنَّ كُلَّ إنسان يُطالبُ غيرَه بالرفْق!! والأغربُ منْ ذلكَ أنَّ القليلَ منَ النَّاس مَنْ يَكُون رَفيقًا. وإنَّ منْ أسباب سعادة المرء أنْ يكونَ رَفيقًا بنفسه أولاً، ومعَ مَنْ حوله ثانيًا. ومنْ أسباب السَّعادة أيضًا التي قدْ نَراها تُرَفْرفُ على أهل بيت ما أنْ يكونَ أصحابُه رفقاءَ بعضهم ببعض.

وما أجملَ ذلكَ النَّصّ الَّذي أطلقَهُ لنا رسولُ الهدى ﷺ ليُعْلنَ عنْ أهميَّة الرِّفق إذ يقولُ فيما تَرويه عنه أمُّنا عائشة رضي الله عنها حيث قالتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: (إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيء إلا زانَهُ ولا يُنزَعُ منْ شيء إلاَّ شانَهُ).[1]

فإنْ أَرَدتُما أيُّها الزَّوجان السَّعادةَ كُلَّ السَّعادة، وإنْ أَرَدتُما أنْ تَحصدَا النَّتائجَ بشكل إيجابيٍّ، فكونا رَفيقَين ببعضكُما.

دَخَلَ نصرُ بن علي عَلَى المتوكِّل فإذا هُوَ يَمدحُ الرِّفقَ فأكثر...

فقالَ يا أميرَ المؤمنين أَنْشَدَني الأصمعيُّ:

لَمْ أرَ مِـثْـلَ الـرِّفْـق في لِينِـهِ
أخْـرَجَ لِلْعَـذراءِ مِـنْ خِـدْرِهـا
مَـنْ يَسْتَعِـنْ بـالـرِّفـق في أمْـرِهِ
يَسْتَخْـرِجُ الحَيَّـةَ مِـنْ جُحْرِهـا

فقال: يا غلام الدَّواةَ والقرطاسَ فَكَتَبهُا.[2]

ولا يَتَصَوَّرْ البعضُ أنَّ الرِّفقَ يَعني ضَعْفٌ في الشَّخصيَّة! كلاَّ والله، بلْ هُوَ دليلٌ على قوتها وثباتها. وهُوَ أيضا لا يعني الانهزاميَّة في الحياة! بلْ يَعني الايجابيَّة فيها. وهُوَ مُؤَشرٌ لسعَة الأفق، وبُعْد النَّظر، والتَّصالُح الدّاخلي -أيْ بينَ الفرد وذاته-.

---

(1) رواه مسلم (16/362-6545)

(2) سير أعلام النبلاء (12/134)

ولعلَّنا نتَأمَّلُ سَويًّا في نصٍّ واحد منْ نصوص رفْقه ﷺ، لنَسْتَبينَ منها مَا نَتَحَدَّثُ عنه. ففي يوم زواجه بصَفيَّة رضي الله عنها ولمّا أرادَ أنْ يُرْكبَ زَوجَهُ الدابَةَ، مَاذا فَعَلَ لأَجل ذلكَ؟ يقول الرَّاوي: أنه كانَ يَجلسُ عندَ بَعيره فيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفيَّةُ رجْلَهَا عَلى رُكْبَته حَتَّى تَرْكَب.(1)

ولنَا في هذا التَّصَرُف تَأمُّلاتٌ رائعةٌ:

- يَظهرُ في هَذا النصِّ مَدَى رفْقه ﷺ وإلاَّ كانَ يَستطيعُ أنْ يَترُكَها تَركَبُ بمُفردها، إذْ أنَّ النِّساءَ قدْ تعَوَّدْنَ رُكوب البعير بدون مُساعدة، فليسَ هُوَ عَليهنَّ بالشَّيء الجديد في ذلك الزمان، وكانَ يَستطيعُ أنْ يَأمرَ إحْدَى نساء القوم بمُساعدَتها، ولكنَّهُ أرادَ أنْ يُمارسَ الرِّفقَ -هُوَ بأبي وأمّي- لكَي يَكونَ قُدوةً للأزواج منْ بَعده ونَموذَجًا يُحتذى به.
- فيه مزيدُ عناية بالزَّوجة الجَديدة، فَكَأنهُ أرادَ أنْ يَتْرُكَ في نفسها انطباعًا جَيدًا مُنذُ البداية، ونحنُ نَعلمُ أنَّ الانطباعَ الأوّلَ هُوَ الانطباعُ الدَّائمُ، فكَأنَهُ أرادَ ﷺ أنْ يَكونَ هَذا التَّصرف رسالةَ اسْتلطاف إلى نفس زوجته تَحملُ في طَيّاتها الهدوءَ إلى نفسها، وتُبَدِّدُ القَلقَ الذي قدْ يُساورُها في مثل هَكَذَا لَحَظات.
- إذا قُلْنَا أنَّ في هَذا النصِّ مَزيدُ عناية بالزَّوجة الجديدة فلا يَعني هذا

(1) (فتح الباري 6/102 - رقم 2893)

أَنَّ الزَّوجةَ إذا تَقادَمتْ بها الأيامُ والشُّهورُ والسَّنواتُ ألاَّ يَسْتَمرَ الزَّوجُ بالرِّفق بها!! بلْ هيَ أَحْوَجُ إليه منْ أَوَّل أَيام عُرْسها لطُول الصُّحبَة ولوُجُود الوَلَد ولزيادَة المُعاناة في شُؤون البَيت والتَّربية ونحو ذلكَ.

<<<

ولا أَستطيعُ أنْ أَخْتُمَ هذه الرَّكيزة دونَ أنْ أَذْكُرَ حديثَ ابن مسعود العظيم فعنه رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قالَ: (يَحْرُمُ على النَّار كُل هَيِّن لَيْن قَريب سَهْل).[1]

فَحَرَّمَ اللهُ أجسادَكُما أيها الزَّوجان الرَّفيقان عن النَّار.

■ ■ ■ ■ ■

---

(1) رواه الترمذي (2488)

الرَّكيزةُ

12

إدارةُ الصِّراعِ

إِدارَةُ الـصِّــراعِ..

› يقولُ تَعالَى في كتابه العزيز: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.(1)

الصراعُ إِحدى سُننِ الله التي كَتبَها عَلينا في هذه الحياة الدُّنيا، وهو أمرٌ طبيعيٌّ وشَيءٌ مُتَوَقَّعُ الحدوث بينَ البشر، وعلى ذلكَ فلا يُتصوَّر أنَّ هناكَ بيتًا منَ البيوت لا يَحدُثُ فيه شيءٌ منْ هَذا

(1) سورة البقرة (آية رقم: 36)

الصِّراع قد تَزيدُ درجَتُه أو قَدْ تَقلُّ.

وأحدُ عوامل حدوث الصِّراع بينَ النّاس؛ ذلكَ الدَّورُ الَّذي يَقومُ به الشَّيطانُ الرَّجيم، إذْ أنَّ لهُ حضورًا كبيرًا أثناء حُصُوله. وصَدَقَ مصطفى السِّباعي عندما قالَ: (وراءَ كلِّ خصومة شيطان يَضحَكُ).[1]

وقد تَوَصَّلْتُ بفَضْل منَ الله، ثُمَّ بفَضْل تجارب الحياة الَّتي اكتسبتُها منْ خلال عَملي مُستَشارًا في شؤون الأسرة، إلى رُؤية خاصَّة عنْ كَيفيَّة إدارة الصِّراع إذا وَقعَ بَينَ الزَّوجين.

فإلى تلكَ الخُطُوات التي أرجو باتباعها منْ قبَلكُما أَنْ تخفِّف حدَّةُ الصِّراع بينَكُما، أو أنْ يَنتهيَ تمامًا بإذن الله، وهيَ مُرَتَّبَةٌ كالتّالي:

أولاً: الابتعادُ قَدْر المستطاع عن الطّرف الآخر، وهذا أسهلُ بالنسبة للزَّوج، بمَعنى أَنَّ عليه أنْ يَخرُجَ منَ الغرفة التي حَدَثَ فيها الصِّراع، أو ربَّما الخروج منَ البيت بشكل كُلي لفترة مؤقتة، ولعَلَّ سائلاً يَتساءلُ وأيُّهما أفضلُ؟ فأقولُ: إنَّ التَّفضيلَ يكونُ حَسب حَجْم الصِّراع الذي حَصَلَ.

ثانيًا: عدمُ اتخاذ أيِّ قَرار في وقت ثورة المشاعر، واشتداد الصِّراع.

ثالثًا: بعدَ هدوء عاصفة الصِّراع يَتوجَّبُ الجُلوسُ إلى طاولة الحوار، وهيَ طاولةٌ تَحتوي قائمة شبيهة بتلكَ القوائم

---

(1) هكذا علمتني الحياة (1/120)

الموجودة في المطاعم، وليستْ هيَ قائمة اختيارية، بلْ هيَ إجباريَّةٌ ومُلزمَةٌ لكلا الطَّرفين وهذه القائمةُ تَضُمُّ:

1. إدراكُ أهميَّة إنجاح هذه الجلسة، بلْ وأهميَّة الإيمان العميق بوجوب نجاحها.
2. إدراك أنَّ الجميعَ في وقت الصِّراع خاسر. إذْ لا يُوجدُ وصفٌ اسمُه (أنا فائزٌ) و(أنتِ خاسرةٌ) أو العكس، بلْ كلاكُما خاسرٌ!! ذلكَ أنكُما كَينُونةٌ واحدَةٌ.
3. الاتفاقُ عَلى أنْ يَطرحَ كُلُّ طرف مَا لديه منْ ملحوظات على الآخر.
4. منْ تُطرَحُ عليه الملحوظات يَجبُ ألا يُبرِّر الأسبابَ مُطْلَقًا، أو أنْ يُدافعَ عنْ نفسه، وإنما عليه أنْ يَستمعَ فقط، وهذا أسْلَمُ للاتفاق والتَّقارب، وأبعدُ عن اللِّجاج والجدال.
5. أن يَذكُرَ ما يتمناهُ مُستقبلاً منَ الطَّرف الآخر، فيقولُ مثلاً: أتمنَّى مُستقبلاً منك كَذا وكَذا...
6. أنْ يَأخذَ الطَّرفُ الآخرُ دورَهُ في الحديث وبنفس الخُطوات السَّابقة.
7. الشَّجاعةُ مَطلبٌ هامٌ، وما أَعنيه بالشَّجاعة هُوَ أنَّ مَنْ ظَهرَ لَهُ الخَطأُ واسْتَبانَ، فَعلَيه أنْ يُبادرَ بالاعْتذار، ولا يَعْتَقدْ أنَّ ذَلكَ عيبٌ، بلْ إنَّ اعترافَهُ بذلكَ يَرْفعُهُ وَيُعْلي شَأنه.

8. قَلْبُ الصَّفحة وتجاوُزها يَزيدُ منْ فاعلية تَخَطِّي الصِّراع، ومَا أقصدُهُ أنهُ بعدَ التَّصافي لابُدَّ أنْ تَقومَا بمَسْح كُلِّ التَّصرفات السَّيئة التي لاحظتُماها عَلى الآخر، وإلاَّ فَما فائدةُ جَلسة الحوار والتَّصافي!؟

وأنا عَلى يَقين –بإذن الله– أنهُ إذا تَمَّ الالتزامُ بهذه الخُطوات منَ الطَّرفين، فإنه في الغالب يَتقاربُ الزَّوجان، ويَعودُ الهدوءُ بينهما، ويَزولُ الصِّراعُ.

وهذا مَا أَجدهُ منْ خلال مُتابعتي للمتَّصلينَ والمتَّصلات، إذْ أنَّ النَّتائجَ جدٌّ رائعةٌ. ولكن هذا ولا شَك يَستلزمُ وعيًا مُشتركًا منَ الطَّرفين بأَهميَّة تَحقيق النَّجاح والتَّغلب عَلى الصِّراع.

ولَعلَّنا نَقفُ مُتأمِّلينَ لأحد نُصوص الوَحي فعنْ عائشة رضي الله عنها قالتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: (أبغضُ الرِّجال إلى الله الألَدُّ الخَصم).[1]

ومعنى الألَدُّ: قالَ ابن حجر: مُشْتَقٌّ منَ اللَّدود وهُوَ الاعوجاجُ والانحرافُ عن الحقِّ.[2]

معنى الخَصِم: قالَ البخاري: الدَّائمُ في الخصومة.[3]

والعبَرُ المأخوذةُ منْ هذا الحديث ألخصها في نُقطتين:

1. إنَّ هذا الأمر خَصَّ به الرِّجال فقالَ (أبغضُ الرِّجال) فكُنْ عَلى

---

(1) صحيح البخاري (13/192 – فتح الباري رقم 7188)

(2) وقال أبو عبيدة: هو الذي يدعي الباطل ولا يقبل الحق. (فتح الباري 13/ 193.192)

(3) وقال ابن حجر: الخصم من صيغ المبالغة فيحتمل الشدة ويحتمل الكثرة. (فتح الباري 13/192)

حَذر أيُّها الزوج منْ أنْ تكونَ بَغيضًا عندَ الله، وبئْسَ مَنْ كانَ عندَ الله بَغيضًا، فَوَالله لا يُفلحُ إلاّ أَنْ تَداركَهُ رَحمةٌ منهُ سُبحانَه، ولا يعني ذلكَ أنَّ هذه الصِّفةَ ليست موجودةً عندَ النِّساء! بلْ مَنْ وُجدَتْ فيه فهُوَ بَغيضٌ إلى الله، سواءٌ كانَ رجلاً أو امرأةً.

2. فيه تحذيرٌ منْ دَوام الخصومات وإنني والله لأستغربُ كيفَ أنَّ بعضَ الخَلق لا يَهدأُ لهُ بَالاً ولا يَقرُّ لَهُ قَرارًا حتَّى يُنَغِّصَ عَيشَه وعَيشَ مَنْ مَعَهُ، فتَجدُهُ يَنتَقلُ منْ صراع إلى صراع، ومنْ مُشكلة إلى مُشكلة، ومنْ خُصومة إلى خُصومة، وكَأنَّ الله خَلَقَهُ لذلكَ. ولأجل هذا فَمَنْ وجَدَ في نفسه شيئًا منْ ذلكَ، فلابُدَّ أنْ يُوقفَها بجدِّيَة وحَزم لا تَواني فيه.

<<<

فيا أيها الزوجان المتصافيان إن العُمر لقصير، يَحقُّ أنْ نَحياهُ بهدوء وسلام، وقدْ وَرَدَ حديثٌ في هذا المعنى بإسناد ضعيف، ولكن معناهُ صحيحٌ، فعنْ أبي أمامة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: (كَفَى بكَ إثمًا أَنْ لا تزالُ مُخاصِمًا).(1)

(1) قال ابن حجر: رواه الطبراني بسند ضعيف (فتح الباري193/13)

الرَّكيزةُ 13

التَّسامُحُ راحَةٌ لِلقَلْبِ

التَّسامُحُ راحَةٌ لِلقَلْبِ..

بما أنَّ الصِّراعَ بينَ البَشر أمرٌ قَدْ كُتبَ عليهم في هَذه الحَياة فإنَّ اللهَ قد حثَّ على التَّسامح لمُواجهته وعَلى ذلكَ فأقولُ:

إنَّ مَنْ أرادَ أنْ يَهْنَأَ بعَيشه، فَليَكُن مُتَسامحًا.

ومَنْ أرادَ أنْ يكونَ ذا بال هانىء، فَليَكُنْ مُتَسَامحًا.

ومَنْ أرادَ أنْ يَسْتَطيبَ عَيْشُهُ، فَليَكُنْ مُتَسَامحًا.

وصَدَقَ القائلُ:

إذا ضَاقَ صَدْرُ المَرْءِ لَمْ يَصْفُ عَيْشُهُ
ولاَ يَسْتَطِيبُ العَيشَ إلاَّ المُسَامِحُ

ومَا أجملَ مقولةَ ابن الجوزي: (العَفْوُ أَصْلَحُ في باب العَيْش).[1]

وإنَّ منَ الأشياء التي تُلْحقُ في النَّفس المشَقَّةَ وتُسَبِّبُ لها الأذيَّةَ مُحَاوَلَة استيفاء الحَقّ كاملاً منْ كُل وَجْه، وذاك أَمْرٌ صَعبٌ، ولذلكَ يجبُ عليكما أيُّها الزَّوجان عَدَمُ التَّفكير في ذلكَ، بلْ إنَّ المُتَخَلِّيَ عَنْ هَذه الفكْرَة، يُعَدُّ كَريمًا. وَقَدْ قالَ الشاعرُ:

تَسامَحْ ولا تَسْتَوف حَقَّكَ كُلَّهُ
وأَبْقِ فَلَمْ يَسْتَقْص قَطُّ كَريمُ
ولا تَغْلُ في شيءٍ منَ الأَمْر وَاقْتَصد
كلا طَرَفي قَصْد الأمُور ذَميمُ

ولَعَلَّ منْ نَماذج التَّسامُح التي وَرَدَتْ في السِّيرَة المُطَهَّرَة مَا حَدَثَ لأَبي حذيفة بن اليَمان، حيث أنَّ وَالدَهُ قُتلَ بَعدَ أن اخْتَلَطَ المُسْلمونَ بالمُشْركينَ، فَظَنُّوا أنهُ منَ المُشركين، فَلَمَّا رَآهم حُذيفة صَرَخَ بهمْ قَائلاً: أيْ عبادَ الله أبي... أبي... ولَكنْ سَبَقَ المَوتُ صَوْتَ حُذيفة فَما كانَ منهُ إلاَّ أنْ قالَ: غَفَرَ

(1) صيد الخاطر (ص: 259)

اللهُ لَكم. قالَ عُروة: فَما زالتْ في حذيفة منهُ بَقيَّةُ خَيرحتَّى لَحقَ الله.[1]

ولنا في هذه الصُّورةَ عبرة: أباهُ يُقْتَلُ أمامَ نَاظرَيه... ولمْ يَزدْ على أنْ قالَ: غَفَرَ الله لَكُم. فما أوسع هذا القلب!! حيث أنهم كانوا في حالة حَرْب، أيْ أَنَّ جَميعَ الانفعالات النَّفسيَّة وَاردةٌ.

وتَأمَّلا -أيها الزَّوجان- في عاقبة هذا القلب: أنَّ الخيرَ أصبحَ مُلازمًا لهُ، وهَذا منْ قَول عُروة (فما زالتْ في حذيفة منه بقيَّةُ خيرٍ حتَّى لَحقَ الله).

<<<

فَكُونا -أيُّها الزَّوجان المُتسامحان- عَلى قَدْر منَ التَّسامُح، رَفيعٌ سَقْفُه قَويٌّ بُنْيانُهُ وَارفٌ ظلالُه يَطيبُ لَكُما فيه الثـمَرُ، وتَذَكَّرا أنَّ العَفْوَ مَطْلبٌ ولاَ تَسْتَطيعُهُ إلاَّ الأَنفس الشَّهمَةُ الأَبيَّةُ الوَاثقَةُ بقدرتها، القَويَّة. وأمّا تلكَ المُصابَةُ بشيء منَ الضَّعف والبَعيدَةُ عَن الشَّهامَة فَتتَلَكَّأُ في العَفْو وَتَغُصُّ به.

فسامحْ أيُّها الزَّوجُ زوجتَك الآنْ وأَرحْ قَلْبَكَ...

وأنتِ أيَّتُها الزَّوجةُ سامحي زَوجَكِ... حتَّى يَكونَ فيكما بَقيَّةُ خَيْر...

■ ■ ■ ■ ■

---

(1) صحيح البخاري (6/389 - فتح الباري رقم 3290)

الرَّكيزَةُ 14

عَلى أيِّ المُسْتَوَياتِ أنتمَا؟

عَلى أيِّ المُسْتَوَياتِ أنتما؟..

<< تأمَّلا أيُّها الزَّوجان الكريمان هَذا النَّموذجَ بمُسْتَوَياته السِّتَّة منْ قاعدَته إلى قمَّته:

منَ المُلاحظ في هذا النَّموذج أَنَّ لكُلٍّ منكما بيئَتَهُ التي نَشَأَ فيها، وهيَ ولاشك تَختلفُ عنْ بيئة الطَّرف الآخر، حتَّى وإنْ كُنتُما تَعيشان في نفس البَلَد، وكذلكَ لكُلٍّ منكُما سُلُوكيّاتُه التي اعتادَها، وأفكارُهُ التي يُؤمنُ بها، ومُعْتَقَداتُه الخاصَّة، ومُجتَمَعهُ المُحيط به، ومُستَوى صلَته بالله ربِّ العالمين.

ولَنا أنْ نَتصَوَّرَ مَدى التَّقارب والتَّباعد بَينكُما منْ خلال التَّمعُّن في هذا النَّموذج، ولذلكَ فإدراكُ كلّ واحد منكما لمحتواهُ يُساعدُكُما أكثر فأكثر عَلى تحقيق التَّفاهُم، وزيادة التقارب في حياتكما.

والرِّسالةُ المُرادُ أنْ تَصلَ إليكما هي أَنَهُ كُلما كُنتما في نفس المُستَوى البيئيِّ أو السُّلوكيِّ أو الفكْريِّ أو الاعْتقاديّ أو الصِّلَة بالله، كُلما كانَ ذلكَ أَدْعى إلى مَزيد منَ التَّقارب والانْسجام بَينكما. بمَعنى أَنَهُ إذا شَعَرَ أيُّ طرف منكما بأَنهُ في مُستوى مَعَيَّن والآخر في مُستوى مختلف، فهذا مُؤَشِّرٌ في الغالب على احتمالية وُجود خَلَل في علاقَتكما الزَّوجيَّة، فيكونُ ذلك الخلل سببًا في نشوء المَشاكل والخصام والنُّفور، لاسيَّما إذا كانَ المستويان بعيدين عنْ بَعضهما فَرْقًا شاسعًا.

لذا فَمُحاولةُ تَرْقيَة الطَّرف الآخر لَلوُصول إلى نَفْس المُسْتَوى المطلوب هوَ هَدَفٌ لابُدَّ منْ بَذْل الجُهد والسَّعي الحَثيث بكافة الوَسائل المُمْكنَة إلى تَحقيقه.

ولتَقريب المفهوم أَضربُ لكما مَثلاً عن المستوى التَّعليمي... فلوْ كانتْ شَهادتُكَ أَيُّها الزوج جَامعيَّةً أو أَعلى، وزَوجتُكَ تَحملُ فقط الشَّهادَةَ المُتوَسِّطَةَ، فلا شَكَّ أنهُ سَيكونُ لَديكَ أَفكارٌ وسُلوكيَّاتٌ ومُعتَقَداتٌ تُناسبُ مُستواكَ التَّعليمي، بَعيدة تَمامًا عنْ مُستَويات زَوجَتكَ الفكريَّة والسُّلوكيَّة والاعتقاديَّة. ولسَدِّ الفَجوة بَيْنكُما، ولمحاولة الوُصول إلى تَقارب فكْري وسُلُوكي واعْتَقادِي حَقيقي، يَتَوَجَّبُ عَليكَ أنْ تُرَغِّبَ زَوجتَكَ في مُواصَلَةَ تَعليمها، وتُساعدُها عَلى إنجاز ذلكَ، مُذَلِّلاً كُلَّ العَوائق والصُّعوبات التي سَتَعتَرِضُ النُّهوضَ بمُسْتَواها، وتَحقيق النجاح المَرْغُوب. حتَّى تَقتربَ هي بمُستواها التعليمي منك، وبالتالي يَحصلُ التقاربُ في باقي المستويات.

طَبْعًا نحنُ لا نَستَطيعُ أنْ نَقولَ بأنَّ مَنْ كانتْ زَوْجَتُهُ أقلَّ منهُ في المُستوى التَّعليمي أنه لَنْ يَكونَ هناكَ تَقاربٌ بينهما!! ولَكنْ أقصدُ أنَّ ذلك أدعَى إلى تَقارُب وتَمازُج أَكبر، يكونُ حاجزًا أمامَ ولادَة الشِّقاق والخلاف في الحياة الزَّوجيَّة.

وعَنْ أَهميَّة التَّوافق في المُستوى، وُجِّهَ سُؤالٌ إلى الشَّيخ عَلي الطَّنطاوي كالتَّالي: هَلْ يُبنَى الزَّواجُ عَلى الحُبِّ؟

فأجابَ: لا!!

لا يَصحُّ أنْ يُبنَى الزَّواجُ عَلى الحُبِّ... إنما يُبنَى الزَّواجُ عَلى التَّوافُق في التَّفكير والسُّلوك والوَضْع الاجتماعيِّ والحالة الماديَّة، وبَعدَ هذا كُلِّهُ تَأتي العاطفةُ.[1]

<<<

إذًا التَّوافُقُ في تلكَ المُستويات أمرٌ مطلوبٌ.

فيا أيُّها الزَّوجان المُتقاربان أَدْركَا ذلكَ واعْمَلا عَلى الحرص عَلى أن تكونا في نَفس المُستَوى أو قَريب منهُ.

(1) مع الناس (صفحة: 54)

الرَّكيزةُ 15

الحِوارُ

الحِوارُ..

› إنَّ مَوضوعَ الحوار هو من المواضيع الهامَّة في الحياة بشَكل عام وفي الحياة الأُسريَّة بشكل خاص. ولَمْ يَعُدْ تَرفًا خاصًّا بالمُثقَّفين كَما يَعتَقدُهُ البَعضُ، بلْ أَصْبَحَ ضَرورةً لابُدَّ منه وأساسًا في الحياة الزَّوجيَّة لا غنَى عَنه.

وإنِّي أشْتَرطُ عَلى كُلِّ مَنْ يَقْرَأ هَذه الرَّكيزة منَ الآن فصاعدًا شَرطًا أرجُو منهُ أنْ يُنَفِّذَهُ كَما هُوَ، لأَنَّ تَنفيذَهُ يَصُبُّ في صَالحه أولاً وأخيرًا...

والشرطُ هو: أنْ يُحوِّلَ كُلَّ مَا يَقرَأَهُ في هذه الرَّكيزة إلى واقع مَلموس، أيْ أنْ يَجْعَلَهُ بَرنامجًا عَمَليا لا كَلامًا نَظَرِيًّا يَقْرَأُهُ ثُمَّ لا يُطَبِّقُهُ فَيَنْسَاه.[1]

لذا دَعُوني أَطْرَحُ عَليكُما بَعضًا من الاستفهامات كانتْ تُحَيِّرُني:

كَيفَ لنا أنْ نَسمعَ بَعضنا؟

وكَيفَ لنا أنْ نَفهمَ بَعضنا؟

وكَيفَ يُمكنُ أنْ نَستَوعبَ أَخطاءَ بَعْضنا؟

وكَيفَ لنا أنْ نَتصافَى ونَتسامَحَ؟

إنَّ الإجابَةَ الوحيدةَ لكلِّ ما سبقَ بالتأكيد هي... بالحوار ثُمَّ بالحوار ثُمَّ بالحوار.

والحوارُ مَهارةٌ منْ مَهارات الحياة، يحتاجُ إلى تَدريب ذَاتيٍّ، أيْ عَلى كُلِّ فرد منّا أنْ يُدَرِّبَ نَفسَهُ على ذلك. نعم قَدْ يَجدُ شيئًا من الصعوبَة في البداية، ولَكنْ عَليه بقَسْر نَفسه والصَّبر وسَتكونُ النَّتائجُ فعلاً مُذهلةً.

رَكبَ عبدالرحمن سَيّارتَهُ، هوَ وَزَوجتُه وفاء، قاصدين شارعَ التَّحلية[2] وبينما كان عبدالرحمن يقودَ سيارته أرادَ أنْ يُحاورَ زَوجتَهُ فَطَلَبَ منْهَا أنْ تَقومَ بعَمَليَّة تَقييم لأدائه الأسَريِّ في مشوار حَياتهما الزوجيَّة الَّذي قَضَياهُ

---

(1) جميع ما في هذا الكتاب من ركائز نحن بحاجة إلى أن نحوّلها إلى برامج عملية نمارسها على الدوام، ولكن لما للحوار من تأثير بالغ وكبير رأيت أن أجعل هذا الاشتراط فيه وإلا هذا الشرط يسري على كل الركائز.

(2) أحد شوارع مدينة الرياض الذي تنتشر فيه الكثير من محلات القهوة وهو مقصد من مقاصد سكان المدينة لاسيما الشباب.

مَعًا. عَلى أنْ تَبْدَأَ زوجته بما يُضايقُها منهُ قَبل مَا يُسْعدُها، وعَليه هُوَ أنْ يَسْتَمعَ إلَيْها فَقَط دُونَ مُقاطعة، وفعْلاً تَحَدَّثَتْ عنْ كُلِّ ما يَجول في خَاطرها. ولَمّا انْتَهتْ أَثنَى عَليها خيرًا، ثُمَّ تَبادَلا الأَدْوارَ، فَاسْتَمعَتْ هيَ وتحدَّثَ هُوَ عن الأمور الَّتي تُسْعدُهُ فيها، ومن ثَمَّ التي تُضَايقُهُ فيها.

ولقد قال لي بالحَرف الوَاحد: بَعدَ أنْ تَحَدَّثَ كُلاًّ منّا عَمّا في خاطره، اتفقْنا عَلى أَنَّ هُناكَ مُشكلَتين عندي يَجبُ عَليَّ أنْ أَجدَ لَهُما حَلاًّ، وثَلاث مَشاكل لدى زَوْجَتي وَفاء.

ثُمَّ أكملَ قَائلاً: وما أنْ وَصَلنا إلى مَقصَدنا إلا ونحن قد انتَهَينا منْ حوارنا هذا، فَتوَجَّهْنا إلى أحد مَحَلات القَهوة فَشَربْنا قَهوتَنا المُفَضَّلة ونَحنُ نَتسامَرُ ونتبادل الأَحاديث، فَجدَّدْنا نَشاطَنا وَعُدْنا إلى بَيتنا وأَطْفالنا.

فتَصَوَّرَا -أَيُّها الزَّوجُ والزَّوجَةُ- هذا النَّموذجَ، أَليسَ يَسْتَحقُّ أنْ يُقْتَدَى به!!

إنَّ آيات القُرآن الكريم حافلةٌ بمثل هذه الحوارات، وكذلكَ أحاديثُ المصطفى ﷺ مَليئَةٌ بذلكَ. فَهَا هُو يُحاورُ وببراعة ذلكَ الشّابَ طالب الزِّنا، ويَنْجحُ في إقناعه بالكَفِّ عنه كما في الحديث المعروف!!

وإنني أُدركُ اشتياقَكُما لمعرفة اثنتَي عبدالرحمن وثلاث وفاء. وكَوني وَقفْتُ عَلى هَذا النَّموذج، فَإنني سوف أذكُرُهما لكما.

أمّا بالنسبة لعبدالرحمن فلقدْ انْتَقَدَتْ زَوجَتُه فيه أمرين، هُما:

1. التَّأخرُ في السَّهر معَ أصدقائه إلى قُرب الفَجر في إجازة آخر الأسبوع.
2. عدمُ أداء بعض الصَّلوات جماعةً في المسجد.

وأمّا بالنسبة لثلاث وفاء التي ضايقتْ زَوجَها منها فهي:

1. عَدمُ الاهتمام بأمور الطَّبخ والتَّنوع في إعداد وجبات الطَّعام.
2. رَفعُ الصَّوت أثناءَ النِّقاش معه.
3. الإلحاحُ عَليه لتنفيذ طلباتها، دونَ مُراعاة لحالته النَّفسيَّة أو الجَسديَّة.

<<<

فيا أيُّها الزَّوجان المتحاوران افْتَحا قَلبيكُما وعَقْلَيكما للحوار،، وتَرْجما هذا الحوار إلى واقع عَمَلي، وَاجْعَلا منهُ هَواءً تَستَنشقانه، ومَقْصَدًا تَناما بَينَ ذراعَيه، عندَها أنا عَلى ثقَة كَبيرة بأنَّ ثلاثةَ أرباع المشاكل بَينكُما سَتَزولُ، وسَتُغلَقُ الكثيرُ من مراكز الاستشارات الأسَريَّة، وسَيَنْعَمُ الزَّوجان بهدوء وانسجام رائعين.

■■■■■

الرَّكيزَةُ 16

زَوْجَةٌ واحِدَةٌ أَمْ أَكْثَر!؟

زَوْجَةٌ واحِدَةٌ أَمْ أَكْـثَـر!؟..

> أَصبحَ الحَديثُ عن الزَّوجة الثانية ممَّا يَكثرُ في مجالس الرِّجال، فلا تكادُ تَجلسُ في مَجلس منَ المَجالس إلاّ وَتَجد هذا الموضوع حاضرًا كَحُضورهم الحقيقي، سواءٌ كانَ هذا الزَّواجُ زَواجًا مُعلنًا أو مسْيارًا.

ولذلكَ أسبابٌ عدَّةٌ منها: رخاءُ العيش الَّذي يَعيشُهُ النَّاسُ في هذه الأزمنة، وإطلالُ كُل شَكل ولَون منَ النِّساء الفاتنات عَلى كثير من البيوت عبرَ

القَنوات الفَضائيَّة التي فَتحتْ أَعينَ الرِّجال، وزادتْ منْ أَمانيهم ورَغبَتهم بالتَّجديد. بالإضافة إلى كَثرَة النِّساء العوانس والمُطَلَّقات والأرامل، وغيرُ ذلكَ من الأسباب التي لَسْتُ بصَدَد حَصْرها الآن.

والذي أَراهُ في هذا الموضوع هُوَ البقاءُ عَلى زَوجة واحدة، مادامتْ قائمةً بحقوقه، غيرَ مُنَغِّصَة عَليه عَيشَهُ، مُراعيةً لأحواله، مُتَجَدِّدَةً وذاتَ عطاء لا يَنْضَبُ. وقَدْ فرحْتُ كُلَّ الفرح لمّا وَجَدْتُ أَنَّ الله سبحانه جَعلَ رَأْيي مُوافقًا لرأْي أحد الأعلام الأذكياء والرِّجال العُقلاء وهو ابن الجوزي إذْ يَقولُ ما نَصَّه: فَليَتَّق الله مَنْ عندَهُ امْرَأة لا بأسَ بها، وليُعرضْ عنْ حديث النَّفس ومُناها، فما لَهُ مُنتَهى، ولَوْ حَصَلَ لَهُ غَرَضُهُ كَما يُريدُ وَقعَ المَلَلُ وطَلَبَ ثالثةً، ثُمَّ يَقَعُ المَلَلُ، ويَطلُبُ رَابعةً وما لهذا آخر.

وقال أيضًا: ولا يَفتحْ عَلى نَفسه بابَ التَّزَوُّج، بلْ يَقنعُ بامرأة فيها دين.

فقد قالَ الشَّاعرُ:

والمَــــرءُ مــا دامَ ذا عَــينٍ يُقَلِّبُهُ
في أَعينِ العِينِ موقوفٌ على الخطـرِ
يَـسُــــرُّ مُقْلَتَه مَــا ضَرَّ مُهْجَتَهُ
لا مَرْحَبًا بُـسرورٍ عادَ بالضّررِ[1]

---

(1) صيد الخاطر (ص: 339)

وقالَ أيضًا: والسَّعيدُ مَنْ إذا حَصَلَتْ لَهُ امْرَأَةٌ فَمالَ إليها وَمالتْ إليه وعَلمَ ستْرَها ودينَها أنْ يَعقدَ الخنصرَ عَلى صُحْبَتها.[1]

وهُنا أُنبّهُ إلى أَنَّ شَرْعَ الله فوقَ رُؤْيَتي وفوقَ مُوافَقَة ابن الجوزي. وإلاَّ فَالجَميعُ يَعلمُ أن الله قد أحلّ للرِّجال الزَّواجَ بأربع نساء. وغايةُ ما قَصَدْتُ هُوَ أنهُ ما توافرَت الشُّروطُ وانْتَفَت الموانعُ في التَّعَدد فذاكَ أمرٌ جائزٌ، أمّا هذه الفَوضَى الـمُجتمعيَّة التي نَعيشُها الآن، منْ استسهال أَمر الزَّواج بالثانية، ومنْ ثَمَّ دَفعُ المهر، واستئجارُ البيت، ثُمَّ ما تَلبثُ مَعهُ إلا شَهرين أو ثلاثة أو أربعة، ورُبَّما عَلمَتْ زوجتُه الأولى بزَواجه، فَتَشُنُّ حَرْبَها، وتَرْفَعُ رايات الرَّفض، وتَتْلُو آيات الاحتجاج، وتُجَيِّشُ أبناءها ضدَّ أبيهم، ثُمَّ يَتَّخذ قرارَهُ للتَّخَلُص منْ كُلّ هَذه الـمَشاكل بطلاق الثانية. فتُعاني الثانيةُ منْ مَرارَة الطَّلاق والفراق، بدون ذنب وقعتْ فيه. وتُسَجَّلُ عَليها طَلقةٌ جديدةٌ، إنْ لَمْ تكنْ مَرَّتْ بتَجْرُبَة طَلاق منْ قَبل، وتَعودُ لبيت أهلها مَكسورةَ الخاطر، تَستَشْعرُ مَرارَةَ الظُّلم والقَهر. وهذا ما لا نُريدُ حُصولَهُ في مُجتَمَعنا.

وخلال عَملي مُستشارًا ومُدرِّبًا أُسَريًّا، حَدَّثَتني الكثيرُ منَ النِّساء الـمُطَلَّقات عنْ أَنْفسهنَّ وما حَصَلَ لهنَّ، وذلكَ بأَنَّهُنَّ تَزَوَّجْنَ لتَستَقرَّ أنفُسُهُنَّ، وتَطيبَ حياتهن في كنف زوج رَحيم، ولاسيَّما وأَنَّهنَّ يَسمَعنَ منْ أزواجهنَّ في

(1) صيد الخاطر (ص: 364)

فترة الخِطْبة كَلامًا مَعْسُولاً يُرَغِّبُ ويُقَرِّبُ. ومَا أنْ يَدْخُلَ الزَّوجُ بها ولا تكادُ تَسيرُ عَجلةُ الأيام، إلاَّ ويَبدَأ يُمَهِّدُ بأنهُ غيرُ مرتاح في حياته، وأنَّ في صَدْره ضيقَةً كُلَّما جاءَ عندها، وأنهُ بَدَأَ يَقْرَأُ عندَ الرَّاقي فُلان، وأنَّه يَرى أحلامًا قام بتفسيرها، وأنهُ قَدْ يَضْطَرُّ لطَلاقها، لتَزولَ عَنهُ العَين. وما به منْ عَين وَلا مَسٍّ ولا سحْر!! ولَكِّنَهُ يُريدُ أنْ يَتَخَلَّصَ منْ هذه الزَّوجة بعدَ أنْ مَلَّهَا، أو يُريدُ طلاقها نتيجةً لضعفه أمامَ زَوجته الأولى. وهُنا أَستطيعُ أنْ أقولَ بأنّها الفَوضى بعَينها.

فيا أيُّها الرجال إنْ رَغبتُمْ بالتَّعَدُّد فعَليكُم بالتَّفَقُّه في هذا الأمر مُسْبَقًا، والتَّبَصُّر في إدراك عواقبه جَيِّدًا، وإجراء حسَاباتكُم قَبلَ الزَّواج، منْ قُدرة عَلى تَحمُّل أعباء الزَّواج الماديَّة والاجتماعيَّة، حتَّى لا تَقَعوا في ظلم نساء يُعتبَرْنَ شَرْعًا أخواتكُم في الله، وتَأكَّدُوا عندَ إقْدامكم بأنكُم تَلجُونَ مَوجًا ليس هُوَ بالسَّهْل عَلى كُلِّ أحد.[1]

وأنتُن أيَّتُها الأخواتُ الفاضلاتُ -الـمُطلَّقاتُ والأراملُ- الرّاغبات بالزَّواج من رَجل ثان لا تتسرَّعْنَ بالقبول، وتَأَكَّدْنَ واسْتَشرنَ قَبلَ أنْ

---

(1) أنصح في هذا المجال بالاستفادة من أخي الشيخ الدكتور فهد بن علي العندس، فإنه ينوي القيام بدورات تدريبية في هذا الجانب لاسيما وهو من المتخصصين والمتمكنين.

تَدْخُلنَ هذا المَدخل وتَنْدَمْنَ، ومنْ ثَمَّ تَعُدْنَ مُطلَّقات ربَّما للمَرَّة الثانية أو الثالثة!!

<<<

وأخيرًا أعودُ وأُوَضِّحُ أنَّ شَرعَ الله فوقَ كُلِّ ذي رَأي. ولا أقصدُ بذلكَ تَحريمَ أو تَعطيلَ مَا شَرعَهُ الله، كَلاّ وحاشا! ولَكن هُوَ مُجَرَّدُ رأي، فالله أحلَّ الزواجَ بواحدة، وأحلَّ الزواجَ بأكثر من واحدة، فكلاهما حلال، وأنا أميل برأيي إلى الحلال الأول كما وضّحتُ سابقًا.

وكُلٌّ يُؤخذُ منْ قَوله ويُرَدُّ إلاّ صاحب ذلكَ القَبر -محمدٌ رسولُ الله ﷺ-.[1]

---

(1) هذه مقولة الإمام مالك رحمه الله.

الرَّكيزةُ 17

إسْتشارةُ أهْلِ الشَأْن

اِسْتِشارَةُ أَهْلِ الشَّأْنِ..

› من المعروف سابقًا أنَّ مُعظمَ الخلافات الزوجيَّة يَتمُّ احتواءُها وحلّها مباشرة من قبل كبير الأسرة الممتدة التي يَضُمُّها بيت العائلة الكبير. أو يَتدَخَّلُ في حلِّها شيخُ المسجد أو شخصٌ حكيمٌ معروفٌ في القرية أو القبيلة.

ولكنْ في أيامنا هذه استقلت الأسرُ النوويَّةُ بذاتها، وتفرَّقَتْ وتَباعدتْ في المساكن، وبالتالي أصبحَ من النادر أنْ يكونَ لها شخصٌ كبيرٌ تَرجعُ

إليه في حلِّ المشاكل التي تَنشَأُ غالبًا بين الزوجين.

فكانَ منْ نعَم الله التي مَنَّ بها على الأسرة في وقتنا الحاضر انتشارُ مكاتب الاستشارات الأسَريَّة في مختلف مناطق مملكَتنا الحَبيبة. وبما أنَّ مُجرَّدَ الشَّكوى تُريحُ القلبَ وتُسَرِّي عنهُ ألآمَهُ، فكيفَ إذا صاحَبَها طَلَبٌ لحل أو مَخرَج، وخاصةً أنَّ هذه المراكزَ تحتوي نخبةً من الاستشاريين الخبراء المتمكنين والمتدربين على حَلِّ المشاكل الأسريَّة بطرق علميَّة مدروسة.

قالَ ابنُ الجوزي: (حتَّى إنَّ المُغتَمَّ إذا لَمْ يَتروَّحْ بالشَّكوى، قَتَلَهُ الكَمَد).[1]

وباعتباري أحد المستشارين في شؤون الأسرة، تَمكَّنتُ منَ الوقوف على كثير منَ القَضايَا الَّتي لَوْلا الله ثمَّ وُجودُ مثل هذه المراكز الاستشاريَّة لحصَلَ في المجتمع خَلَلٌ كَبيرٌ، حيث من المُلاحظ في هذا الزَّمان كثرة المشاكل الأُسَريَّة في مجتمعنا، نتيجة لتَصَدُّع كَينونَة الأسْرة لأسباب عديدة.

وبالتّالي فإنَّ ممّا يُساعدُ الزَّوج والزَّوجَة عَلى إيجاد حلّ لأيِّ مشكلة تُواجههما هو القيامُ بالاتِّصال عَلى تلكَ المراكز الاستشاريَّة وطلبُ الاستشارة، وما أنْ يَقوما بشَرح الإشكال الذي يَمران به حتَّى يَتَلَقَّيا التَّوجيهَ المناسبَ الذي يُساعدُهما عَلى حَلّ الـمُشكلة، أو على الأقلّ الحدُّ من عَدَم تَفاقُمها. فيَحصُلان عَلى الدَّعم الاجتماعيِّ المطلوب في حينه من أهل المشورة.

---

(1) صيد الخاطر (ص: 68). والكمد: بمعنى الحزن المكتوم

وقد قيلَ: خَميرُ الرَّأي خَيرٌ منْ فَطيره،[1] أي أَنَّ الرَّأيَ الذي اختمرَ بالتَّفكير والمُشاورة خَيرٌ من العجين الذي لمْ يَختَمرْ.

ولعلِّي أضربُ لذلكَ مَثلاً، فاطمة امرأةٌ تزوجتْ ولَمْ تَطَّلعْ عَلى أيّة معلومة عن الزَّواج، ولا عن كَيفيَّة إدارة البيت. بلْ وكيفيَّة إتْيانها منْ قبَل زوجها في الفراش. فكانَ يَسْتَغلُّ زوجها جَهْلَهَا بالحُكم الشَّرعي، حيث أصبحَ يُجامعُها في الدُّبر، وهيَ مُسْتَجيبةٌ له، ظَنًّا منها أنَّ ذلكَ مَطْلَبٌ شَرعيٌّ، وحَقّ له. وفاطمة هذه حاصلةٌ على الشهادة الثانوية، ومُقيمةٌ في مدينة الرِّياض، حتّى لا يَعتقدْ أحدٌ أنّها أميّة جاهلة، أو أنها تعيشُ في رأس جبل مُنقطع عن البَشر. فبينما هي تَتَصَفَّحُ إحدى مَواقع الانترنت قَرأتْ شَيئًا عنْ ذلك الأمر الذي يفعله زوجها معها وعنْ حُكْمه الشَّرعي، فاتصلتْ على أحد مراكز الاستشارات كَي تَتأكَّدَ وتَتَحَقَّقَ من الأمر. فَتمَّ بيانُ تَحريم ذلكَ لَها، وَوُجِّهَتْ لكَيفيَّة التَّعامُل الصحيح معَ مطلب زَوجها الغير شرعي منها.

وهذا أحمدٌ شابٌ مَضتْ سنةٌ عَلى زواجه، اتَّصَلَ بي في أحد الأيام، حيثُ كانَ يَعتَقدُ أنَّ ما به من مشكلة إنّما هُوَ مَسٌّ منَ الشَّيطان!! فلَمّا وَجَّهْتُهُ بأَنْ يَزورَ الطَّبيبَ النَّفسيَّ، استجابَ لما طلبتُه منه، فإذا به بعدَ فترة منَ الزَّمن، يَدخلُ عَليَّ في مكتبي ويُقبِّلُ جَبيني، ويُخبرُني بأنهُ ذَهبَ إلى طبيب نفسيٍّ،

(1) صيد الخاطر (ص: 333)

وشَخَّصَ حالتَهُ، وأنه تَناولَ العلاجَ اللازمَ لذلكَ، وأَنَّ كُلَّ مَا به قدْ زالَ.

وصَدَقَ والله ابن الجوزي إذْ قالَ: (ولَعَمْري أَنَّ النَّفسَ يَصْعُبُ عليها كَتْمُ الشَّيء، وتَرى بإفشائه راحةً، خاصَّةً إذا كانَ مَرَضًا أو همًّا أو عشْقًا).(1)

وقد قيلَ قَديمًا:

ولابُـدَّ مِـنْ شَكْوى إلى ذي مُـروءَةٍ
يُواسِيكَ أو يُسَلِّيكَ أوْ يَتَوَجَّـــعُ

وإليكما هذا النَّصُّ كَما في حديث عبدالله بن عباس الطويل، والذي سألَ فيه عُمَر أمير المؤمنين عنْ قصَّة عائشة وحفصة... وفيه قالَ الرَّسول ﷺ لعائشة رضي الله عنها: (إنِّي ذاكرٌ لكِ أمرًا. ولا عليكِ ألاّ تَعجَلي حتَّى تَستأمري أَبوَيك).(2)

إذًا هذا نصٌّ صريحٌ على أَهميَّة اسْتشارَة أهل الشَّأن، وأنَّ هناكَ قرارات يَنبغي أنْ يُؤخذَ فيها الرَّأيُ قبلَ تنفيذها، وأنَّ مثلَ هذه القَرارات تَحتاجُ إلى شَيئين:

الأوَّلُ: عَدمُ التَّعجُّل.

والثاني: الـمَشورةُ.

وهذا محمدٌ بن عبدالله ﷺ المؤتمنُ على رسالة ربِّه قد استشارَ وهو رسول الله، ففي حديث الإفك الذي حَدَثَ لزوجته عائشة، حيث قالتْ: ... فدَعَا

---

(1) صيد الخاطر (ص: 237)

(2) رواه البخاري (5/138- رقم 2468 فتح)

رسولُ الله ﷺ عليًّا وأسامة، حيثُ استلبثَ الوَحي أي تأخَّرَ يستأمرُهُما في فراق أَهْله.(1) فتأمَّلا كيفَ أنه ﷺ في مثل هذه الحادثة المؤلمة الَّتي حَصَلَتْ لَهُ، وأثناء تَأَخُّرِ الوَحي وانقطاعه عَنهُ...

لمْ يَقُلْ: أَنا رسولٌ، وأفعلُ ما أراهُ صائبًا!!

ولمْ يَقُلْ: أنا أكثرُهم علمًا، ولاداعي لاستشارة أحد!!

ولمْ يَقُلْ:أنا أكثرُهم خشيةً لله، وأفعل ما يَظهرُ لي!!

ولمْ يَقُلْ:أنا... وأنا... وأنا... التي أَسْمَعُها كثيرًا من المتَّصلين والمتَّصلات!!

بل نادى مَنْ يَثقُ بهم منْ أهل الشَّأن، واسْتَشارَ مُباشرةً دونَ تَرَدُّد وتثاقل، ودونَ إنفراد بالرّأي.

ولعلِّي أذكُرُ لَكُما أحدَ النَّماذج الـمُتَكَبِّرَة عنْ طلب الاستشارة، فلقد اتصلتْ بي في أحد الأيام أمُّ سُلطان، تَشرحُ مُشكلتَها، فكانَ لابُدَّ منْ إشراك الزَّوج في حَلِّ مُشْكلَتِهما، فطلَبْتُ منها أنْ تجعلَ زَوجَها يَتَّصلُ بي لأناقشَ الأمرَ معهُ، ونَصلُ سويًا إلى حَلٍّ يُرضي جَميعَ الأطراف، فلَمّا عَرَضَتْ أمُّ سُلطان على زوجها الأمْرَ، لم يَكنْ منه إلاّ أنْ رَفَضَ، والحُجَّةُ هي أنه أكثرُ النّاس علْمًا، وأنه مُدرِّبٌ مَرموقٌ، وأنه حاصلٌ على الماجستير، وأنه مديرُ إدارة في إحدى الدَّوائر الحُكوميَّة، فكيفَ يَطلبُ الاستشارةَ!! وهُوَ مَنْ هُوَ!!

---

(1) رواه البخاري (5/294 - رقم 2637 فتح)

فما كانَ إلاّ أنْ أخْبرتها بحديث استشارته ﷺ لأمِّ سلمة رضي الله عنها لمّا كان زمنُ الحديبية في حديث التَّجهُّز للعمرة،[1] كي تُخبرَ به زَوجَها. فانقطعتْ عن الاتصال فترةً منَ الزَّمن، ثُمَّ اتصلتْ وقالتْ بأنَّ الأمرَ معها قد انتهى إلى الطَّلاق. ولَوْ أنهُ لانَ واتَّصَلَ واستشارَ، وساعدَ نفسَه وزوجتَهُ، رُبّما تَمَّ حَلُّ المشكلة، ولمْ يَحدثْ أمرُ الطَّلاق.

<<<

فيا -أيُّها الزَّوجان العاقلان- اسْتَشيرَا في حياتكما مَتَى مَا رَأيتُما أنَّ ذلكَ قدْ يُساعدكما في إيجاد حَلٍّ مُناسب لـمَشاكلكُما، وتَذَكَّرا أنكُما لَسْتُما بأفضل منْ مُحمد حَبيبكما ﷺ.

(1) وقد مرَّ معنا هذا الحديث في الركيزة الرابعة «الاهتمامُ باحتياجات الطرف الآخر».

الرَّكيزَةُ

18

الجُودُ وَالكَرَمُ

الـجُـودُ وَالـكَـرَمُ..

ما منْ شَيء يُسعدُ القلبَ مثل الجود والكرم، ابتداءً بقلب صاحبه، وانتهاءً بقلوب مَنْ مَعهُ. فبالجود والكرم تُستَرُ العيوبُ وتَنتشرُ الابتسامات، وتُغفَرُ الزَّلاتُ، ويَطيبُ العيش وتَهنأ الحياةُ.

ومَثلُنا الأعلى في ذلكَ نبيُّنا الكريم ﷺ مَنبعُ الجود والكرم الذي كانَ يُنفقُ ما لديه إنفاقَ من لا يَخشى الفقرَ.

ولعلَّنا نقفُ سَويًا عَلى قصَّته مع جابر بن عبدالله رضي الله عنه ليتَبيَّنَ لنا جُودُه وكَرمُهُ، ومنْ ثَمَّ نَقتدي بخلقه الكريم. فبعدَ عودتهما من إحدى الغزوات، حيثُ اشترى الرَّسول ﷺ بعيرَ جابر، واشترطَ جابرٌ أن يكونَ التَّسليمُ عندَ وصولهم المدينة، فوافقَ الرَّسولُ على هذا الشَّرط، ولما وَصلُوا وعَلمَ بذلكَ خال جابر، لاَمَ جابرًا على ذلكَ البيع،وذهبَ جابرٌ بالبعير إلى الرَّسول ﷺ ليُسَلِّمَهُ لَه ويَقبضَ الثـمنُ، فما كانَ منه ﷺ إلاَّ أنْ أعطاهُ الثمنَ، وَرَدَّ عَليه بَعيرَهُ.[1]

فَتصوَّرا كيفَ أصبحَ حالُ جابر بعدَ هذا البيع!! حيثُ أنهُ كَسبَ المالَ دونَ خسارة بعيره!! أليسَ هذا بيعًا رابحًا؟ ثمّ تخيَّلوا مَوقفَ خاله الذي عارضَ فكرةَ البيع، وعاتَبَهُ لمّا عَلمَ بذلكَ، وكيف أنَّ هذا البيعَ أصبحَ مفاجأةً لهُ عندما رُدَّ البَعيرُ لجابر، واكتُسبَ المالُ!! ولكنْ لا غرابة في ذلكَ، فهوَ بيعٌ معَ رسول الله ﷺ.

وهكذا كنْ أيها الزَّوج كَريمًا جَوادًا، كما كانَ نبيُّكَ وحَبيبُكَ ﷺ، وكذلكَ كُوني أيتُها الزَّوجة كَريمة معَ زوجك، لاسيَّما الأخوات الموظفات، وما أكثرهنَّ في هذا الزَّمان. واحذرا كلاكُما من البخل فإنه بئس الصِّفة. فبالبخل تَتفرَّق القلوبُ، وتَتنافَرُ الأرواحُ، ويَتَشاجرُ الأزواجُ وتَنكَشفُ العيوبُ وتَسوءُ الأخلاقُ.

وإنَّ منَ النَّماذج السَّلبيَّة التي لا أَملُّ منْ ذكرها في دَوراتي التَّدريبيَّة

---

(1) رواه البخاري (-6/141 فتح رقم 2967)

قصةَ الأخت نوال حيث قالتْ لي: تَرَقَّى زوجي في عدَّة مناصب حيثُ كانَ جُنديًّا شبهَ مُعدم إلى أنْ أصبحَ ضابطًا، والآن هوَ برتبة نقيبٌ وكانَ هذا بفضل منَ الله، ثمَّ بتَشجيعي ودَعمي وصَبري وتَهيئَتي كُلّ أسباب النَّجاح لَهُ. فماذا كانَ جَزائي وأولادي؟ وهُنا تخَنُقُها العبرةُ وتجَهشُ بالبكاء ثم تُتَابعُ قائلةً: والله يا شيخُ إنني وأولادي منْ ليلة الأمس لمْ نأكلْ إلاّ خُبزًا!! إذْ لا شيءَ غير الخبز يُوجدُ في بيتنا. ولـمّا سَألتُها وأينَ يَأكلُ زَوجُك؟ قالتْ: إنهُ يَأكلُ في (الميز)، وهُوَ المكانُ الَّذي يَأكلُ فيه العَسْكَرُ. ثمَّ تُكملُ قائلةً: أنا التي صَبَرْتُ وعشْتُ مَعهُ أيامَ الضَّراء أكثر منْ أيام السَّراء، أنا التي تَزوَّجتُه وهُوَ رجلٌ فقيرٌ من عائلة بسيطة!!

أولادُنا ما ذَنبُهم أنْ يَعيشوا حياةَ الذُّل والفقر، بعدَ أنْ أنعمَ اللهُ عَلى أَبيهم ورَفعَ مَنصبَهُ.

فبالله عليكما أيّ حياة هذه التي تَعيشُها هذه الزَّوجةُ؟ وكيفَ يَهنأُ زوجُها بكلِّ ما هُوَ لذيذ وطيب، وزوجتُه وأولادُه لا يأكلونَ إلاَّ الخبزَ؟

أَتراهُ لمْ يَسمعْ بقصَّة عبدالله بن عامر الذي قامَ بشراء دار خالد بن عقبة بن أبي معيط التي في السُّوق بتسعين ألفَ درهم فلما كانَ اللَّيلُ سَمعَ بكاءَ أهل خالد فقالَ لأهله: ما لهؤلاء؟ فقالوا: يَبكونَ لدارهم. فقالَ يا غلام: ائتهم فأعلمْهُم أنَّ المالَ والدّارَ لهم جَميعًا.(1)

فانظرا إلى هكذا نفوس استطاعتْ أنْ تجودَ وتَتَصِّفَ بالكرم. وقارنْ

---

(1) (الغزالي في الإحياء 3/236)

بينها وبينَ زوج نوال... يا الله إنهُ حقًا فارقٌ بعيدٌ!!

وما أجملَ ما قالَه الشَّاعرُ:

وَيُظْهِرُ عيبُ المرءِ في النَّاسِ بُخْلُهُ
وَيَستُرُهُ عَنهم جَميعًا سَخاؤُهُ
تَغَطَّ بأثوابِ السَّخاءِ فإنَّني
أَرى كُلَّ عَيبٍ بالسَّخاءِ غِطاؤُهُ

وإنني أسوقُ إليكما -أيها الزَّوجان الكريمان- نصيحةَ أحد أذكياء العالم، وهو الشَّيخُ علي الطنطاوي إذ يقولُ: (إذا شئتمْ أنْ تَذوقُوا أجملَ لذائذ الدُّنيا، وأحلى أفراح القلوب فجُودوا بالحُبِّ والعَواطف كَما تَجودونَ بالمال). [1]

ولَعلي أذكُرُ لكما قصَّةَ العبد الأسود والكلب فتعالا معي لتعرفا هذه القصَّةَ:

في أحد الأيام كانَ الإمامُ الحافظُ العلاَّمة إبراهيم بن إسحاق الحربي جالسًا معَ أصحابه فطلبوا منه أنْ يُحَدِّثهم عن السَّخاء والكرم، فحَدَّثهم أنَّ عبدالله بن جعفر خرجَ إلى ضياعه يَنظرُ إليها فوَجدَ في أحد البساتين عَبْدًا أَسْودًا بيده رَغيفٌ، وهوَ يَأكلُ لُقمةً ويَطرحُ للكلب لُقمةً، فلمّا رَأى ذلك اسْتَحْسَنَهُ فدارَ بينهم الحوارُ التّالي:

قالَ عبدالله: يا أسودُ لمن أنتَ؟

---

(1) كتابه (صور وخواطر ص: 26)

فقالَ العبدُ: لمصعب بن الزُّبير.

قالَ عبدالله: هذه الضَّيعةُ لمن؟

قالَ العبدُ: لَهُ.

قالَ عبدالله: لقدْ رأيتُ منكَ عَجَبًا تَأكلُ لقمة وتَطرحُ للكلب لقمةً!

قالَ العبدُ: إني لأَستحي منْ عين تَنظرُ إليَّ أنْ أوثرَ نَفسي عَليها.

فرجعَ عبدالله إلى المدينة فَاشترَى الضَّيعةَ والعبدَ ثمَّ رَجعَ وإذا بالعبد...

فقالَ لَهُ: يا أسودُ إني قدْ اشتريتُكَ منْ مُصعب.

فوَثبَ قائمًا وقالَ: جَعلَني اللهُ عليكَ مَيمونَ الطَّلعة.

قالَ عبدالله: وإني اشتَريتُ هَذه الضَّيعةَ.

قالَ العبدُ: أكمل اللهُ لكَ خيرَها.

قالَ عبدالله: وإني أُشْهدُ أنكَ حُرٌّ لوَجه الله.

قالَ العبدُ: أَحسنَ الله جَزَاءَكَ.

قالَ عبدالله: وأُشْهدُ اللهَ أنَّ الضَّيعةَ منِّي هَديَّةٌ إليكَ.

قالَ العبدُ: جَزاكَ الله بالحُسنى ثُمَّ قالَ: وَإني أُشْهدُ اللهَ وأشهدُكَ أنَّ هذه الضَّيعةَ وقفٌ منِّي عَلى الفقراء.

فَرَجعَ عبدالله وهُوَ يَقولُ: العبدُ أكرمُ منَّا.(1)

---

(1) سير أعلام النبلاء (13/363)

والكرمُ ليسَ كما يظنّه بعضُ النّاس نوعًا واحدًا، يَختَصُّ ببذل المال فقط، بلْ إنَّ الكرمَ نوعان: ماديٌّ ومعنويٌّ (عاطفي).

ولَعلّي أُذكِّرُكما بأَنَّ الكرمَ والجودَ المعنويَّ لا يَقِلُّ أَهمِيَّةً عن المادِّي، بلْ هُما عَلى حَدٍّ سَواء. فكُونا كَريمين بحُبِّكما وعَطْفكما وإيّاكما إيّاكما وبُخل المشاعر وفقرها فإنه بئس البضاعة.

وكمْ سَمعتُ من المتَّصلين والمتَّصلات من الأبناء والبنات مَنْ يقولُ: والله إنني أتوقُ لسماع كلمة (أحبُّكَ) من أبي أو منْ أمِّي. لا أدري لِـمَ يَبْخلان بها عَليَّ؟! وآخَر يقولُ: والله لَكَمْ تَمَنَّيْتُ ضَمَّةً إلى صَدر أبي أوْ أمِّي. وثالثة تَبكي وتَنشجُ وتقولُ: أبي يُعطيني المال ويَبخَلُ عَليَّ بالعاطفة. ورابعة انحرفتْ بسببِ عدم مراعاة جانبها العاطفي منْ قِبَل أهلها.

<<<

فلتكُن جَوادًا أَيُّها الزَّوج المحبّ في مالكَ وعواطفكَ مع زوجكَ.

ولتَكُنْ جَوادًا أيها الأبُ الحنون في مالكَ وعطفكَ ورعايتكَ لأبنائكَ.

ولتَكُنْ جَوادًا أيها الأخُ العطوف في مالكَ ومعاملتكَ الحسنة معَ أفراد مُجتمعكَ كافَّة.

وَكُوني مِثلَهُ أيضًا أيتُها الزَّوجةُ الكريمة.

■■■■■

الرَّكيزةُ 19

التَّرْفيهُ

التَّرْفيهُ..

< إنَّ ممّا يَعتري أنفسَ البشر أيًّا كانُوا المَلَلُ والسَّآمةُ، لاسيَّما معَ طول الإقامة بينهم ودوام الـمُلازمة. وهذا ما يَحدثُ بينَ الزَّوجين معَ طول العشرة واستمرارها. لذا يتوجبُ عليكما أيها الزوجان التَّغييرُ والتَّجديدُ وكَسْر هذا الرُّوتين.

فما المانعُ أيها الزَّوجُ أنْ تصحبَ زوجتَكَ إلى مكان ما، لكَسر الرُّوتين وطَرد الـمَلَل والسَّآمة.

وهذا ما كانَ قائمًا به محمد ﷺ، فعنْ أمِّنا عائشة رضي الله عنها قالتْ: دخلَ رسولُ الله ﷺ وعندي جاريتان تُغنيَّان بغناء بُعاث،[1] فاضطجعَ عَلى الفراش وحَوَّلَ وَجْهَهُ، فدَخلَ أبو بكر فانتهرَني وقالَ: مزمارةُ الشَّيطان عندَ رسول الله ﷺ، فأقبلَ عليه رسولُ الله ﷺ فقالَ: دَعهُما فلمّا غَفلَ غَمزتُهما فَخَرجَتا.[2] وفي رواية أخرى في يوم عيد يَلعبُ به السُّودان، تقولُ فإمّا سألتُ رسول الله ﷺ أو هوَ قالَ أتشتَهينَ أنْ تَنظري؟ فقلتُ: نَعم. فأقامَني وراءَهُ، خَدِّي عَلى خَدِّه ويقولُ: دُونكم بني أرفدة، حَتَّى إذا مَلَلْتُ قالَ: حَسبُك، قُلتُ: نَعم، قالَ: فاذهبي.[3] وفي رواية عندَ النِّسائي أنه قالَ ﷺ حَسبُك فقالتْ: يا رسولَ الله لا تَعجلْ. ثُمَّ قالَ حَسبُك؟ فقلتُ: لا تعجل عليَّ يا رسولَ الله. قالتْ: ومالي حُبُّ النَّظر إليهم ولَكنِّي أَحْبَبْتُ أنْ يَبْلُغَ النِّساءُ مَقامَهُ لي ومَكاني منه[4]

وهنا يَطيبُ لي أنْ أُوَضِّحَ لكما كيفَ تَحقَّقَ التَّرفيهُ من خلال هذه الأحاديث وذلكَ في:

- لُطف تَعامُل الرَّسول ﷺ لـمّا دخلَ على زوجه وَوَجَدَ عندَها هاتين الجاريتين فلمْ يُنكرْ، ولمْ يُعنِّفْ وليسَ ذلكَ وحسب بلْ اضطجعَ في

(1) موضع قُرْب يثرب وفيه كانت آخر موقعة بين الأوس والخزرج في الجاهلية (المعجم الوسيط: صفحة 62)

(2) رواه البخاري (فتح -6/111 رقم 2906)

(3) رواه البخاري (فتح6/111 - رقم 2907)

(4) انظر السلسلة الصحيحة (7/817 – رقم 3277)

فراشه، وحَوَّلَ وَجْهَهُ وكَأنه يُريدُ أنْ يقولَ: ابقَينَ فيها أنتنَّ فيه ورَفِّهْنَّ عنْ أَنفسكنَّ كَما تَشَأن.

- استنكار أبي بكر مّما كانتْ تَفعلُهُ ابنتُه عائشة، وأَمْرُ الرَّسول ﷺ لَهُ بأنْ يَدعهُنَّ وشَأْنهنَّ الّذي اجْتمعنَ عَليه.
- أنه ﷺ هُوَ الّذي عَرَضَ عَليها النَّظر فقالَ لَها: (أَتشتهينَ أنْ تَنْظري)، وليسَ ذلكَ وحَسبْ بلْ إنها وَضَعَتْ خَدَّها عَلى خَدّه الشَّريفة.
- مُشارَكَتُه ﷺ في هذا اليَوم التَّرفيهيِّ إذْ يَقولُ: دُونكمْ بَني أرفدة، وهذه المشاركةُ هي لكلا الطرفين، أَوَّلها عائشة فَكأنهُ يَقولُ لَها: وأنا سَأشاركُكِ هَذا التَّرفيه، ليَمْلأَ نفسَها راحةً بأنها لمْ تُثقلْ عَليه بمثل هذا الطلب، وثانيها السُّودان أنفسُهم كَي يُلقي في أنفسهم الحماسَ لمثل هذا اللّعب والتَّرفيه عن النَّفس.
- أنه لمْ يَقطعْ عَليها هذا التَّرفيه، حتَّى تَحقَّقَ لَها الإشباع فقالتْ: حتَّى إذا مَلَلْتُ قالَ: حَسبُكِ، قالتْ: نَعم، فتَأمَّلْ أنها هي الّتي مَلّتْ أوَّلاً ثُمَّ بعدَ ذلكَ سَألَها حَسْبُكِ؟ فقالتْ: نَعم، وفي الرِّواية الثانية أنهُ رَدَّدَ عَليها حَسْبُك، أي هل انتهيت؟ فتقولُ: لا ثُمَّ يَتركُها زَمنًا آخر ثُمَّ يَسألُها، وتقولُ: لا لمْ أنتهِ فيَتْرُكُها حَتَّى تَرغبَ هيَ بالتَّوقف.

فكمْ هما بحاجة إلى مثل هكذا أوقات يَقضيانها الزَّوجان المَرحان مَعَ بعضهما بالتَّرفيه الّذي يُحقِّقُ لَهما التَّجدُّد النَّفسي والنَّشاط والتَّقارب والارتياح والمرح والسُّرور كما فعلَ هذا الزَّوجُ الكريمُ محمد بن عبدالله ﷺ.

ثُمَّ تأمَّلا معي الآن هذا الحديثَ، فعن السائب بن يزيد: أَنَّ امرأةً جاءتْ إلى رسول الله ﷺ فقالَ: (يا عائشةُ، أتعرفينَ هَذه؟) قالتْ: لا، يا نبيَّ الله. قالَ: (هذه قَيِّنَةُ بني فلان تحبينَ أنْ تُغني لكِ؟) قالتْ: نَعم، قالَ: فأعطاها طبقاً فغنّتْها فقالَ النَّبي ﷺ: (قدْ نَفَخَ الشَّيطان في منْخَرَيها).[1]

لاحظا مَعي كيفَ أنَّ النَّبيَ الكريمَ ﷺ عرَّفَها بمَنْ تكونُ هذه القَيِّنة! والقَيِّنةُ هيَ الـمُغَنِّيةُ!! وكيفَ أنه عَرَضَ عَلى عائشة إنْ كانتْ تُحبُّ أنْ تُغنيَ لَها!! ولمّا وافقتْ عائشة عَلى الغناء، بادَرَ ﷺ وأَعْطاهَا الطَّبقَ لتَضربَ به وتُغني لَها القَيِّنةُ.

وإنَّ منَ الإشكالات التي تَرِدُني أنَّ بعضَ الأزواج يَعِدُونَ زَوجاتَهم برحلة تَرفيهيَّة أو قَصد مكان مَا، ولكنْ لا يَتمُّ الوفاءُ ممّا يُؤثرُ سَلبًا عَلى حياتهما ويَزيدُ من اضطراب المشاعر وحصول الكذب والمخادعة، لاسيَّما معَ تكرار مثل هذه الوعود الكاذبة وعدم الوفاء بها.

<<<

فاحرصْ أخي الزَّوج الـمَرح إذا ما وَعدْتَ زَوجتَكَ وأولادَكَ بشيء ما، أنْ تَفيَ بوَعدكَ، ولتَعلَمْ أَنَّ عدمَ إنجاز الموعود لهُ أثَرُه البالغُ في نفس الزَّوجة والأولاد، حتَّى وإنْ لمْ يُطالبوا بالالتزام بالوعد.

---

(1) انظر السلسلة الصحيحة (7/837- رقم 3281)

الرَّكيزةُ 20

تَقَبُّلُ الآخَر

تَقَبُّلُ الآخَر..

إنَّ مبدأَ تقبل الآخر أمرٌ يَتوَجَّبُ أنْ يعرفَهُ ويَعقلَهُ كلا الزوجين في حياتهما الزوجيَّة، إنْ رَغبا أنْ تنعمَ تلك الحياة بالسعادة والاستقرار، والراحة والهدوء.

ومنَ الملاحظ أنَّ بَعضًا منَ الخلافات الزَّوجيَّة تَحدثُ لعدم إدراك هذا المبدأ الهام. ولنضرب مثلاً على ذلك... الزَّوجةُ لمْ تَتقبَّلْ وَضعَ زوجها العائد منْ عَمله غضبانًا، رُبّما لخصام معَ مُديره أو أي

شخص آخر قابلَه وهو خارج البيت، الأمرُ الذي يَجعلُهُ يَتَصرَّفُ بطريقة مرفوضة وغير مَقبولة لدَى الزَّوجة، ممّا يُحدثُ رَدَّة فعل ثائرة وقَويَّة عندَ الزَّوج. ومَا عَلمَتْ هَذه الزَّوجةُ أَنَّ زوجَها لا يَقصدُها، ولَكنَّه جُزءٌ من تَفريغ ضغط المشاعر الذي لمْ يَستطعْ أنْ يُفرغَهُ أمامَ غيرها.

ولذلكَ أَقولُ: لتَتقبَّلْ الزوجة زَوجَها بجميع صُوَره، وبكُلِّ أوضاعه مَهْما أَخطَأَ في حَقِّهَا، كارتفاع صَوته أو وَعيده وتَهديده لَها ونحو ذلك، ممّا هو عَلى غير عادته، فَسُرعانَ ما سَيعودُ إلى هُدوئه ويَعتذرُ عَمّا بَدَرَ منه.

وأنتَ أيضًا أيها الزوجُ تَقبَّلْ زَوجتَك على حالها، فَربَّما عادتْ هيَ منْ عَملها، أومن زيارة قامتْ بها، فحدَثَ بَينها وبَين رئيستها في العمل أو إحدى قريباتها مَا يُزعجُها ويُعكرُ صَفْوَ مزاجها، فتسوءُ نَفسيَّتُها، وتعودُ وهيَ صامتةٌ أو تَدخلُ بيتَها وهيَ مُتضايقةٌ!! ولَعلَّكَ طَلبْتَ منها طَلبًا مُعَيَّنًا فَرَفَضَتْ أو تكَلَّمَتْ عليكَ بكلمة أقلُّها أنها غيرُ مناسبة أو جارحةٌ. فليتَّسعْ صدرُكَ وأعْلَمْ أنَّ الأمورَ تَجري بطريقة غير جيِّدة معها.

وأرجو ألاَّ يُعتبرُ كلامي هَذا مُبرِّرًا لأحدكما على مُعامَلته السَّيئة على الدَّوام للطرف الآخر! بلْ إنه يَجبُ أنْ يُدرِّبَ كُلٌّ منَ الزَّوج والزَّوجة النَّفسَ عَلى عَدم الوقوع في الخَطأ في حَقِّ الآخر، وأنْ يَضبطَها مَهما يَحصلُ لَه منَ مُنغِّصات ومزُعجات في الخارج.

يقولُ علي الطنطاوي الشَّيخُ الأديبُ: (وكمْ منْ زَوجين بَاتا مُتنافرين يَتَمَنّى كُلٌّ منهما لو كانَ عزرائيلُ وُكِّلَ بقَبض رُوح صَاحبه، ومَا ثَمَّة منْ

سَبب إلاَّ أنَّ الزَّوجَ راحَ إلى الدَّار مُتألما منْ أمر أصابَه يَبْتَغي الرّاحةَ عندَ زَوجه، إذْ تُقبلُ عليه مواسيَةً مُسَليَّةً بَوَجه طَلق، وفَم باسم. وأنَّ الزَّوجةَ كانتْ تَنتَظرُهُ وقدْ أناخَ عَليها الـمَلَلُ وتَرْقُبُ دُخولَهُ ضَاحكا مَرحًا، فلمّا رَأتْهُ مُرْبَدَّ الوَجه، خابَ أمَلُها، فتَألمتْ وأعرَضَتْ ولمّا رَآها مُعْرضَةً ضاعَ رَجاؤُهُ منها فَزَوى وَجْهَهُ عَنها وأملَ كُلٌّ أنْ يَبْدَأهُ الآخر بالصُّلح، لأنهُ عندَ نَفسه لا ذنبَ له، فلمّا طالَ الوقتُ وهُما مُتنافران يَترامَيان بالنَّظرات شَزرًا كالقطط في عراكها اسْتَحْكَمَتْ العقدةُ فلمْ يَبْقَ إلاّ الطَّلاق!!).[1]

‹‹‹

فالرِّسالةُ التي أُوَجِّهُها لكما أيهّا الزَّوجان المتقبِّلان بعضكما أنْ تَسيرا عَلى نَهج الهدوء، فهو بَوابَةُ التَّقبُّل بينكما.

فرُبّما كانَ هناكَ أَمْرٌ يُضايقُ زَوجَكِ أَيّتها الزوجةُ فلَمْ يَستَمعْ إليكِ أوْ يُؤانسَكِ بما كُنتِ تَتوَقَّعينَه منه.

وكذلكَ أنتَ أيّها الزَّوجُ، رُبّما لَدى زَوجتكَ ما أهَمَّها وَصَرَفَ جُلَّ تَفكيرها عن اسْتقبال حار كُنتَ قدْ اعتدتَ عليه.

■■■■■

---

(1) صور وخواطر (ص: 36)

الرَّكيزَةُ

21

تَشَجَّعْ وَاعْتَرِفْ

تَشَجَّعْ وَاعْـتَرِفْ..

> إنَّ الشَّجاعةَ الأدبيَّةَ هيَ قوةٌ دافعةٌ لعَمَل كُلّ ما هُو حَقٌّ وعَدلٌ، وكُلّ ما هو إيجابيٌّ وبَنّاءٌ.. ومن أبرز مَلامحها الاعترافُ بالخطأ.

ولا ريبَ أننا كُلّنا خطاؤون، وهذا أمرٌ طبيعيٌ لأننا بشرٌ. ولكنَّنا نتفاوتُ في درجة الشَّجاعة الكافية للاعتراف باقتراف أيِّ خَطأ بَدرَ منّا.

إنَّ الشُّجاعَ فقط هُو الذي لَديه ثقَةٌ بنَفسه، ولا يَخشى أنْ يُصَرِّحَ بأنهُ أخطَأ، ولا يَجدُ في ذلكَ

حَرجًا. ويَتَرتَّبُ على الاعتراف بالخَطأ والاعتذار أمرٌ إيجابيٌّ، إذ أنه سبيلٌ إلى حُصول الصُّلْح بينَ الأزواج المتخاصمين، وإيجاد السَّلام والوئام بينهما.. إذًا الشَّجاعةُ الأدبيَّة بابٌ من أبواب السَّعادة الزوجيَّة.

وبما أنَّ الصِّراعَ في الحياة الأسريَّة أمرٌ طبيعيٌّ والخطأ واردٌ، فإنْ بَدَرَ منكَ يومًا ما خَطأ أيّها الزَّوجُ في حَقِّ زَوجتكَ، فتَقَدَّمْ بكلِّ شَجاعة واعتذر[1] وكذلكَ بالنسبة لكِ أيَّتُها الزَّوجةُ، ولا تَظُنّا أنَّ ذلكَ يُنقصُ منْ قَدْركُما! كَلاَّ إنهُ يَرفَعُكُما، ولا تَظُنَّا أنهُ يَفْضحُكُمَا! بلْ إنه يُجَمِّلُكُما.

إنَّ أصحابَ الوعي الـمُنخفض والعقل المنطفئ يَعتقدونَ أنهم مُبَرَّؤُونَ منْ كُلِّ عَيب وخَطأ، وأنَّ الخطأَ لا يمكنْ أنْ يَقَعوا فيه وإنما هُوَ صادرٌ عَلى الدَّوام منَ الطَّرف الآخر.

فلا مُشكلةٌ تَحدثُ إلاَّ بسبب الآخر!! ولا نَكدٌ يُعاشُ إلاَّ بسبب الآخر!! ولا عذابٌ في الحياة إلا منَ الآخر!!

بينما لو أَبْصَرنا بعين الإنصاف والعدل لَوَجَدْنا أَنَّ الخَطأَ والنَّكدَ والعذابَ إنما هُوَ منبعه، لا منْ غَيره.

(1) ذكر لي أحد أصدقائي أنه عندما كان وكيلاً في إحدى المدارس الثانوية ، وكان يحل مشكلة مع مجموعة من الطلاب الأشقياء كما هي عادة الطلاب، إذ دخل عليه طالب فألح عليه في طلب شيء ما فرفض الوكيل واستمر الطالب في إلحاحه فما كان من الوكيل إلا أن قال له بلهجتنا العامية: (اقلب وجهك) وفعلا خرج، ومن الغد رآه فقال له: عسى أن لا تكون غضبانا مما حصل بالأمس فقال: بلى!! رد الوكيل: وما يرضيك؟: قال أن تعتذر لي أمام الطلاب الذين جرحتني أمامهم في مكتبك -وكان عددهم خمسة طلاب- فقال له: هذا فقط!! اذهب وليس لك إلا ما يرضيك وكان الطالب يظن أن الوكيل سيحضره وزملاءه الطلاب إلى مكتبه ويعتذر منه أمامهم. ولكنه تفاجأ بدخوله عليهم في الفصل فشرح لكل طلاب صفه ما بدر منه بالأمس واعتذر منه أمام خمسة وأربعين طالبا ولم يجد في ذلك عيبا بل إنه تفاجأ بعد ذلك بأن مجموعة منهم جاءوا يشكرونه ويقولون له: أول مرة وكيل يعتذر من طالب بشكل علني هكذا.

يَقولُ الشَّيخُ علي الطَّنطاوي: كُنتُ أَقرأُ في تَرجمة (كانت) الفيلسوف الألماني الأشهر، أنه كانَ لجاره ديكٌ قد وَضعَهُ على السَّطح قُبالَةَ مَكتبه فكُلَّما عَمدَ إلى شُغله صاحَ الدِّيكُ فأَزْعجَهُ عَن عَمله وقَطعَ عَليه فكرَهُ. فلمّا ضاقَ به بَعثَ خَادمَهُ ليَشتَريه ويَذْبَحهُ ويُطْعمَهُ مِنْ لَحمه ودَعا إلى ذلكَ صَديقًا لَهُ وقَعَدا يَنتظِران الغَداء ويُحَدِّثهُ عنْ هذا الدِّيك وما كانَ يَلقى منه منْ إزعاج، وما وَجَدَ بَعدَهُ منْ لَذَّة وراحة، ففَكَّرَ في أمان واشتَغَلَ بهُدوء فلمْ يُقْلقْهُ صَوتُه ولمْ يُزْعجْهُ صياحُه... ودَخلَ الخادمُ بالطَّعام وقالَ مُعتذرًا: إنَّ الجارَ أَبَى أَنْ يَبيعَ ديكَهُ فَاشْتَرى غَيرَهُ منَ السُّوق، فَانْتَبهَ (كانت) فإذا الدِّيكُ لا يَزالُ يَصيحُ... ثُمَّ يَقولُ الطنطاوي: (فَكَّرتُ في هذا الفيلسوف العظيم فَرأَيتُهُ قدْ شَقيَ بهَذا الدِّيك لأنهُ كانَ يَصيحُ!! وسَعدَ به وهُوَ لا يزالُ يَصيحُ!! ما تَبدَّلَ الواقعُ مَا تَبدَّلَ إلاَّ نفسُه فنفسُه هيَ الَّتي أَشْقَتْهُ لا الدِّيك ونفسُه هيَ الَّتي أَسْعَدَتْه وقُلْتُ مَا دامت السَّعادةُ في أَيدينا فلماذا نَطلُبُها منْ غَيرنا؟ إننا نُريدُ أَنْ نَذبحَ الدِّيكَ لنَستريحَ منْ صَوته، ولَو ذَبَحْناهُ لَوَجَدْنا في مَكانه مئَةَ ديك، لأَنَّ الأرضَ مَمْلُوءَةٌ بالدِّيكَة فلماذا لا نرفعُ الدِّيكَةَ منْ رُؤوسنا إذا لَمْ يُمكنْ أَنْ نَرْفَعَها منَ الأَرض![1]

---

(1) صور وخواطر (ص: 13)

>>>

وكذلكَ أنتُما لا تكونا كَمثل هَذا الفيلسوف يُعشِّشُ في عَقْلكما أنكُما لا تَقعان في الخَطَأ، ولا يُمكنْ أنْ يَصدُرَ منكما، وأنَّ الأخطاءَ هيَ فقطْ قدرُ الطَّرف الآخر... فتَشَجَّعا واعْتَرفا.

■ ■ ■ ■ ■

الرَّكيزةُ
22

حُسْنُ الخُلُق

حُسْنُ الـخُـلُـقِ..

< إنَّ ممّا يُطالبُنا به ديننا الحَنيف وَيَحثُّنا عَليه التَّحلي بحُسْن الخُلُق، ويُقصَدُ بحُسن الخلق كُلُّ ما يَدخلُ تحتَ باب المروءة، وحُسن المعاملة، ولين الجانب، وطلاقَة الوَجه، وكَفِّ الأذَى بشكل عَام.

وممّا أستغربُ منه كَثيرًا أنَّ نسبةً كبيرةً منَ النَّاس لا يَلْتَزمُ هو بما يُطالبُ به غَيرَهُ منَ التَّحلي بحُسْن الخُلُق!!

فلنَبْدَأ بأَنفسنا أوَّلاً ثُمَّ لنُطالبْ بذلكَ غَيرنا.

ولتَتَعَجّبا منْ هَذه القصَّة حيثُ اتَّصَلَتْ عَليَّ في أحد الأيّام أختٌ تُدعى لـَمياء، تَستَشيرُني في أَمْرها، وهي طَبيبةٌ وزَوجُها مُهندِّسٌ، وهَذا ما يَجْعلُنا نَفتَرضُ فيهم مَزيدًا من الوَعي، لارتفاع دَرَجَتهما العلميَّة.

تَقولُ: والله إنَّني أسُبُّه ويَسُبُّني، وأشْتُمُ أهْلَهُ وَيَشْتُمُ أَهلي!!

يا للعجب!! مارَأيكما في هَذا النَّموذج؟! أينَ الخُلقُ هُنا فضلا عَنْ حُسْنه!؟

وما أجملَ ما قالهُ أبو حازم سلمة بن دينار الإمامُ والقدوةُ الواعظُ شيخُ المدينة: (سَيئُ الخلق أشْقَى النَّاس به نَفسهُ الَّتي بينَ جَنبيه، هي منه في بَلاء ثمَّ زَوجتَه ثمَّ وَلدَهُ حتَّى إنه يَدخلُ بيتَه وإنهم لفي سرور فيَسمَعونَ صَوتَهُ فيَنفرونَ عَنه فرَقًا منه. وحَتّى دابَّته تَحيدُ مما يَرميها بالحجَارة، وإنَّ كَلبَهُ لَيراهُ فيَنْزَوي -أيْ يَتحَركُ عَلى الجدار- حَتَّى إنَّ قطَّهُ لَيفرُّ منه).[1]

فَكُنْ أيُّها الزَّوجُ مفتاحَ خَير على زَوجتكَ بحُسن خُلقكَ... ألَمْ تَسمع بحديث المصطفى ﷺ الذي رواهُ عنه أنس رضي الله عنه أنه قالَ: (عندَ الله خزائنُ الخير والشَّر مَفاتيحُها الرِّجالُ، فطُوبَى لمنْ جَعَلَهُ اللهُ مفتاحًا للخَير مغْلاقًا للشَّرِّ، وَوَيْلٌ لمنْ جَعَلَهُ اللهُ مفتاحًا للشَّرِّ مغْلاقًا للخَير).[2] فبالله عَليكَ أيُّها الزَّوجُ إنْ لمْ تكُن مفتاحَ خَير عَلى زَوجَتكَ وأهل بيتكَ بحُسن خُلُقكَ فعَلى مَنْ تكون!؟

وإنَّ منَ الطّرائف في هذا ما حَكاهُ الإمامُ الغزالي حيثُ قالَ: (دَخلَ عَلى

---

(1) سير أعلام النبلاء (6/99)

(2) روه ابن ماجه وغيره وحسنه الألباني (2/755 – رقم 4108 صحيح الجامع)

أحد الحكماء صديقٌ له، فَقَدَّمَ إليه طعاماً فخَرجَت امرأةُ الحكيم وكَانتْ سَيئةَ الخُلق، فَرفَعَت المائدةُ وأَقبَلَتْ عَلى شَتْم الحَكيم. فخَرَجَ الصَّديقُ مُغْضَبًا. فَتبعَهُ الحكيمُ وقالَ لهُ: أَتذْكُرُ يومَ كُنّا في مَنزلكَ نَطْعُمُ، فسَقَطَتْ دَجاجةٌ على المائدة، فأَفْسدَتْ ما عَليها، فَلَمْ يَغضبْ أحَدٌ منّا؟ قالَ: نَعم، قالَ: أُحْسُبْ أَنَّ هَذه مثْلُ تلكَ الدَّجاجة!! فَسَرَى عَن الرَّجُل غَضَبهُ، وانْصَرفَ وقالَ: صَدَقَ الحَكيمُ، الحلْمُ شفاءٌ منْ كُلِّ ألم.[1]

ولَعلِّي أطلعُكما وأَنتُما تَقْرَآن هَذه الرَّكيزَة على كَلام جَميل خَطَّتْهُ يَدُ الإمام ابن الجوزي إذ يَقولُ: (الكمالُ عزيزٌ، والكاملُ قليلُ الوجود. فَأَوَّلُ أسباب الكَمال تناسُبُ أَعْضاء البَدَن وحُسنُ صُورة الباطن، فصُورةُ البَدَن تُسَمَّى خَلْقًا، وصُورَةُ الباطن تُسَمَّى خُلُقًا. ودَليلُ كَمال صُورَة البَدَن حُسْنُ الصَّمْت واسْتعمالُ الأَدَب. ودليلُ صُورة الباطن حُسْنُ الطّبائع والأخلاق، فمنَ الطَّبائع العفَّةُ والنَّزاهةُ والأَنَفَةُ منَ الجَهل، ومُباعَدَةُ الشَّرّ. ومنَ الأخلاق الكرمُ والإيثارُ وسَتْرُ العُيوب وابْتداءُ المعروف والحلْمُ عن الجهل، فمَنْ رُزقَ هَذه الأشياء ارْتَقَتْ به إلى الكمال وظَهَرَ منهُ أَشْرَفُ الخلال، وإنْ نَقَصَتْ خلَّةٌ أَوْجَبَت النَّقصَ).[2]

فيا أَيُّها الزَّوجان حَسِّنَا خُلقَكُما، وَليحْرصْ كُلُّ واحد منكُما عَلى التَّرَقِّي إلى الكمال في فَضائل الأخلاق، وإنني أجدُ أنهُ منَ الواجب والحديث عَنْ

---

(1) إحياء علوم الدين (3/171)

(2) صيد الخاطر (ص: 262)

حُسْن الخُلُق أنْ نَتذَكَّرَ حديثَ عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ لَمْ يَكُنْ فاحشًا ولا مُتفَحِّشًا وقالَ: (إنَّ مِنْ أَحَبِّكُم إليَّ أحْسَنكم أَخْلاقًا).[1]

إنَّ حُسْنَ الخلق كفيلٌ باستمراريَّة الحياة الزوجيَّة وإنْ أَصابَها ما أَصابَها منْ مَأزَق. وإنَّ سُوءَ الخلق في المقابل كَفيلٌ بتَدميرها.

ولنا في أبينا إبراهيم معَ زوجات ابنه إسماعيل عبرَةٌ، ففي الحديث أنه لمـّا جاءَهم إبراهيمُ فلمْ يَجدْ إسماعيلَ فسألَ امرأتَه عنه فقالتْ: خَرَجَ يبتَغي لنا، ثُمَّ سَأَلها عَنْ عَيشهم وهَيئَتهم فقالتْ: نحنُ بِشَرٍّ، نحنُ في ضيق وشدَّة. فشَكَتْ إليه. فقالَ: فإذا جاءَ زَوجُك فاقْرئي عَليه السَّلامَ وقُولي لَهُ يُغيِّر عَتبَةَ بابه... إلى أنْ قال: ذاكَ أَبي وقَدْ أمرَني أنْ أفارقَك، الْحَقي بأهلك فَطَلَّقَها وتزَوَّجَ بأُخرَى، فَلمَّا جاءَها إبراهيمُ سَأَلها كما سَأَلَ الأُولى فقالَ لَها: كيفَ أنتُم؟ وسَأَلها عنْ عَيشهم وهَيئَتهم. فقالتْ: نحنُ بخير وسعَة، وأَثنَتْ عَلى الله. فقالَ: ما طَعامُكم؟ قالتْ: اللَّحمُ. قالَ: فما شرابُكم؟ قالتْ: الماءُ. قالَ: اللَّهمَّ بارِكْ لَهم في اللَّحم والماء... إلى أنْ قالَ لَها: إذا جاءَ زَوجُك، فاقرئي عَليه السَّلامَ ومُريه يُثبِّتْ عَتبَةَ بابه... إلى أنْ قالَ: ذاكَ أَبي وأنت العتبةُ وأمَرَني أنْ أُمسكَك.[2]

فإلى مَتى أَيُّها الزَّوجُ وأيَّتها الزَّوجةُ تَشْتُمان بَعضكُما البعض؟ ومتى ستَبتَعدان عنْ بَذاءَة اللِّسان؟

---

(1) رواه البخاري (7/128 - رقم 3759 فتح)

(2) رواه البخاري (6/457 - رقم 3364 فتح)

وإلى مَتَى لا تَصْبران عَلى بَعضكُما؟ وإلى مَتَى تَضيقُ صُدورُكُما عن الاحتمال ويُفارقُكُما الحلْم؟

<<<

فإليكُما أيها الزَّوجان السَّعيدان: إنَّ حُسنَ الخُلق منْ أَفضل مَا يُقرِّبُ العَبدَ إلى الله، ويُحبِّبُ خَلقه فيه. فَأكْرما أَنفسَكُما أوَّلاً بحُسن خُلُقكما، وتَعايَشا به، لتَصْلُحَ حَياتكما، وتصبحُ هَانئَةً سعيدةً بعيدةً عن التَّوتُر والصِّراع.

▪▪▪▪▪

الرَّكيزَةُ 23

يُمْكِنُ أَنْ تَتِمَّ الْمُعالَجَةُ بِلا صُراخ

يُمْكِنُ أَنْ تَتِمَّ المُعالَجَةُ بِلا صُراخ..

› إنَّ الاحتكاكَ المباشرَ بالآخرين سمةٌ من سمات حَياتنا التي نَعيشُها على هذه البسيطة، فيَنتُجُ عَن هذا الاحتكاك أحيانًا أخطاءٌ عدَّة في حقٍّ بَعضنا البعض، بسَبَب اخْتلافنا في الآراء والمفاهيم والمعتقدات.

وقَدْ يَتسَرَّبُ إلى البعض منّا شُعورٌ خَفيٌّ بأننا أفرادٌ ملائكيون لا نَغضبُ ولا نَقعُ في الخطأ، ولا يَرتفعُ صَوتُنا أبدًا!! وهَذا تَصَوّرٌ غيرُ صحيح، بلْ

نحنُ بشرٌ يقعُ منّا مثلُ ما يقعُ من غَيرنا، أيًّا كانَ مُستوانا العلميّ أو تَصنيفُنا الاجتماعي.

والسُّؤالُ الَّذي يَطرحُ نفسَه: كيفَ تَتمُّ مُعالَجَةُ هذه الأخطاء إنْ حَصلَتْ بَيننا؟ بمعنى هل نقومُ بمعالجتها بصراخ وانفعال؟! أمْ بهدوء واعتدال؟! إنْ كانَ الأوَّلُ فبئسَ ما كان وإنْ كانَ الثاني فَذاكَ هُوَ عَينُ الصَّواب.

وإنني أَعْجَبُ منْ خلال تتبُّعي لسيرَة المصطفى ﷺ من طَريقة تَعامُله معَ بعض الأخطاء التي كانتْ تَقعُ في مُحيطه، التي لوْ حَدثتْ في مُجتَمَعنا لَحَلَّ بمُرْتكبها أشَدُّ أنواع الإقصاء والتَّعذيب النَّفسيِّ، هذا إنْ لمْ يَقعْ عَليه تَعذيبٌ بَدَني.

ولنَتفكَّرْ سَويًّا في أحد هذه النَّماذج فعنْ أبي هريرة أنه قال: جاءَ رجلٌ إلى النَّبي ﷺ فقالَ: هَلَكْتُ. قالَ: ما شَأْنُكَ؟ قالَ: وقَعْتُ عَلى امرأَتي في رمضان. قالَ: تَستطيعُ أنْ تُعتقَ رَقَبةً؟ قالَ: لا، قالَ: تَستطيعُ أنْ تَصُومَ شَهرين مُتَتابعين؟ قال: لا، قال: فهلْ تَستَطيعُ أنْ تُطْعمَ ستِّينَ مسْكينًا؟ قالَ لا، قال: اجلسْ، فجَلَسَ. فأَتَى النَّبي ﷺ بعَرَق فيه تمْر- والعَرَقُ: المكْتلُ الضَّخمُ[1] - قالَ: خُذْ هذا فتَصَدَّقْ به قال: أَعَلَى أَفْقَر منّا؟ فضَحكَ النَّبي ﷺ حتَّى بَدَتْ نَواجذُهُ قال: أَطْعمْهُ عيالَكَ.[2]

---

(1) المِكتَلُ: زنبيل يسع خمسة عشر صاعًا. (القاموس المحيط، ص: 1359)

(2) رواه البخاري (11/604 - رقم 6709 فتح)

ولنا في هذا النَّموذج حكَمٌ عَظيمةٌ:

- حضورُ هَذا الرَّجلُ إلى النَّبي ﷺ وإخبارُه بما وقَعَ فيه معَ زَوجته بصراحة، خَوفًا منْ أنْ يَهلَكَ!! وكيفَ أنَّ النَّبي ﷺ لمْ يُوَجّهْ لهُ اللَّومَ أوالعَتَبَ ولمْ يُلقِ في روعه التَّخويفَ والتَّهديدَ، بلْ مُباشَرةً سارَ معهُ في طريق المُعَالجة هَكذا بكلِّ هُدوء، فهلْ أنتَ كذلكَ معَ زَوجَتكَ إذا ما حَدثَ منها خطأ مَا ؟ وهلْ أنتِ أيّتها الزَّوجةُ كذلك ؟ أمْ الإصلاحُ يَكونُ فقطْ بالصُّراخ والعَويل والتَّهديد والتّوبيخ، فمعَ شناعة هذا الخَطأ وعظمه حَتَّى إنَّ الصَّحابي هو نفسه يُدركُ فَداحةَ ما وَقعَ فيه وذلك من قَوله: (هَلَكْتُ) إلاَّ أنه -بأبي وأمّي هُوَ- ﷺ لمْ يَمْنَعْهُ شَنيعُ ما فَعلهُ الصَّحابي منَ الضَّحك في وَجْهه حَتَّى بَدَتْ نَواجذُه، فلكَ في ذلك حكْمَةٌ أيُّها الزَّوجُ في حال حُدوث خَطَأ ما منْ زَوجَتكَ في حقكَ، فما المانعُ أنْ تُعالجَ المَوقفَ وأنتَ تَضْحَكُ! فَلَكَ في نبيِّكَ ﷺ قُدوةٌ حَسَنَةٌ

- تَقبُّل النَّبي ﷺ لهذا المُخطئ في حَقِّ نفسه وربِّه، فَكَأنه يُريدُ أنْ يُرسلَ لمنْ حَولَهُ ولمنْ بَعدَهُ أنْ تَقبَّلُوا أخطاءَ بَعضكُم البعض حَتَّى وإنْ كَانتْ كَبيرةً وعالجُوها بهدوء.

وإنَّ منَ المُـهمِّ ونحنُ نَقفُ عندَ هذه الرَّكيزة أنْ نَتذَكَّرَ أحدَ النُّصوص النَّبوية، فعنْ عائشة قالتْ: كانَ النَّبي ﷺ إذا اطَّلع على أحد منْ أهل بَيته كَذَبَ

كذْبةً لمْ يَزلْ مُعرضًا عنه حتَّى يُحْدث تَوبةً.[1]

<<<

وبناءً على ما تَقدَّمَ فإنه يُمكنُنا أنْ نُعالجَ أخطاءَ بعضنا بلا صُراخ وتَهويل، وبلا ضَرْب وتكْسير. فالصَمْتُ في كثير منَ الأحيان هُوَ علاجٌ وعلاجٌ فعّالٌ، ولكنْ شَريطةَ أنْ يكونَ صَمْتًا لَهُ مَعنى كما فَعَلَ الرَّسولُ ﷺ معَ أَهل بيته إنْ أَحْدَثَ أَحدُهم كذْبَةً.

■■■■■

---

(1) رواه احمد في المسند والحاكم صححه الألباني في صحيح الجامع (2/855 – رقم 4675)

الرَّكيزةُ 24

مِقْدارُ الحَياةِ

مِقْدارُ الحَياةِ..

> لوْ حَسَبنا وأمْعَنّا الفكْرَ في مقدار حياتنا والفترة التي يُمكن أنْ نَحياها، لَكانَ ذلكَ دافعًا لنا على إحسان العشْرة. فما مقْدارُ عُمْر غايتُه سَبعون سَنة؟ أليسَ من الهدر أنْ نَحياهُ في مَشاكل أسريَّة مُستَمِّرَة؟!

قال رسولُ الله ﷺ: (أعمارُ أمَّتي بَينَ السِّتين والسَّبعين، وقَليلٌ منهُم مَنْ يَجاوزُ ذلكَ).[1]

(1) صححه الألباني في صحيح الجامع.

وفي حديث عنْ سالم بن عبدالله عنْ أبيه أنه سَمعَ رسول الله ﷺ يقولُ: (إنَّما بَقاءَكُم فيما سَلَفَ قَبلكم منَ الأُمَم كَما بينَ صَلاة العَصْر إلى غُروب الشَّمس).[1]

فلو حَسَبْتُما أطولَ أوقات العصر في أيام الصَّيف سَتَجدَان أنها تُقاربُ الساعات الثَلاث!! فيالَها منْ ساعات قَليلة!! فتأمَّلا ذلكَ واحْتاطَا لنفسَيكُما إنْ أَرَدْتُما صَلاحَها، ولا تَجْعَلا عُمُرَكُما يَنْقَضي فيما منْ شَأنه أنْ يُقَصِّرَهُ أو يُنَغِّصَهُ.

وتَذكرا -أيها الزَّوجان السَّعيدان- أنكُما تَعيشان في هذه الحياة لمَرة واحدة. ولَعلَّكما تَأذَنان لي بفكْركُما الواعي بأنْ نَخوضَ غمارَ هذه العَمليَّة الحسَابيَّة البَسيطَة بالتَّرتيب الآتي:

- إنَّ عُمْرَ الإنسان بناءً على الحديث السّابق هوَ ما بينَ السِّتين والسَّبعين عامًا، وإذا أخَذنا المتوسطَ، عندَها يُصبحُ العُمرُ المفترضُ **65** عامًا، وإذا مَا طَرحنا منه **20** عامًا على الأقلِّ هيَ سَنواتُ ما قَبلَ الزَّواج، تَبَقَّى منَ العُمر **45** عاما التي تُمثِّلُ سَنوات العطاء في عُمر الإنسان.
- وكما نَعرفُ أنَّ اليومَ يَحتوي عَلى **24** ساعة، تَنقَضي تلكَ الساعاتُ رغمًا عَنّا في أمور ثلاثة موزعةً تقريبًا كالتالي: **8** ساعات نَوم، و**8** ساعات عَمَل، و**8** ساعات نَقضيها في أنْشطَتنا المُختلفة.

---

(1) فتح الباري (2/46 - 557)

- بمَعنى أنَّ ساعات اليوم تَنقَسمُ إلى ثَلاثَة أَثلاث، كُلّ أَمر منَ الأمور السَّابقة الذِّكر يأخذُ منْ يَومنا وليلتنا ما يُقاربُ الثلث.
- وإذا طَبَّقْنا قاعدةَ الثَّلاثة أثلاث على **45** عامًا التي تُعتَبرُ في حياتنا سَنوات الإنجاز، والتي يُفتَرَضُ أنْ يَكونَ فيها الإنسانُ قدْ اقترنَ بشَريك حَياته، فهَذا يَعني أنَّ المدةَ التي سَنَقْضيها في النَّوم **15** عامًا، وسنقضي في العَمَل **15** عامًا، وما يَتبقَّى **15** عامًا نُنْجزُ فيها أَنشطَتَنا الـمُخْتَلفَة.
- أَنشطَتُنا اليَوميَّة كَثيرةٌ ومُتَعَدِّدَةٌ، تَتضَمَّنُ أوقات الأكل، والاستحمام والاهتمام بالبدن، وزيارات الأهل والأصدقاء، والتَّسوق، وتَربية ورعاية الأولاد، والسَّفَر، والمَرض، ومُراجَعَة المستشفيات، ومُشاهَدَة التِّلفاز، والمُحادَثَة عَبْرَ الهاتف والجَوَّال، ونَحو ذلكَ...
- فإذا فَرَضْنا أنَّ النَّشاطات السَّابقة الذِّكر تَأخذُ منْ يَومكُما مَا يُقاربُ **5** ساعات من **8**، فإنَّ ما يَتَبقَّى لَكُما منْ وقت تَقْضيانه سَويًّا، رُبَّما لا يَتَعدّى **3** إلى **4** ساعات في اليوم على الأكثر، أيْ بمَا مُعَدَّلُهُ **7**سنوات تَقريبًا منْ مُجْمَل حياتكُما مَعًا.

وإذا ما تَأَمَّلتُما الرَّسمَ التَّوضيحيَّ التالي وكَشفتُما الصَّورةَ في عَقلكما، فلَعلَّكُما تَستَخلصَان منه الكثيرَ منَ العبَر.

رسمٌ توضيحيٌّ لتوزيع
ساعات اليوم الـ 24

رسمٌ توضيحيٌّ لتوزيع
سنوات العمر الـ 45

>>> والآن أليستْ هذه حَياةً قصيرةً مُدَّةُ السَّبع سنوات، حَرِيٌّ بكُما أنْ تَعيشاها بسَعادة وحُبٍّ لبعَضكُما؟ أمْ تُريدان أنْ تمْضياها في صراع وخلاف؟! وفي شقاق وعتاب!! وفي ضرب وسبٍّ وشَتْم!! وفي محاكم وشُرط!!

والله إنَّ حياةً قصيرةً كهذه حَرِيَّةٌ بأنْ تَصْبرا فيها عَلى ما قَدْ يَحصُلُ لَكُما منْ سُوء وأنْ يَجتمعَ قَلبَيكُما ويَتَحدْ.

وكَما قالَ الشَّاعرُ:

هَبْكَ عُمِّرْتَ مِثلُ مَا عَاشَ نُوحٌ
ثُـمَّ لاقيـتَ كُـلَّ ذاكَ يسَارا
هلْ مِنَ المـوتِ لا أبـًا لكَ بُـدٌّ
أيُّ حَـيٍّ إلى سِوَى المَوتِ صَارا[1]

■ ■ ■ ■

(1) أبو مسهر (سير أعلام النبلاء 10/233)

الرَّكيزةُ

25

أَحْسِنْ إِذا أَسَأْت

أَحْسِنْ إِذا أَسَأْت..

> كَثيرًا ما يَدورُ بَيني وبَينَ طالب الاستشارة ذَكرًا كانَ أو أنثى نقاشًا حَول تَقبُّل أحدهم فيما بينَه وبينَ نفسه أنه هُوَ المُخطأ، وإنني لأَستَغربُ تكوَّرَ نفسه بمثل هَذا الشَّكل! ورَفضها القاطع الاعترافَ بالخطأ. فأجدُ طالبَ الاستشارة يَشتكي منْ زَوجته وأنها هي التي فَعلتْ وفَعلتْ... وأنها هيَ التي تَقعُ في الأخطاء المُتَلاحقَة... وأنها وأنها... وإذا سَألتُهُ هَذا السُّؤال: ألاَّ يُمكنُ أنْ تكونَ أنتَ الذي وَقَعْتَ

بالخطأ؟ فيَتلوَّى لسانُه، ويَتَضايَقُ منْ سُؤَالي هَذا، وأَسْمَعُ أصواتَ نَفَخَاته، ولَوْ كُنتُ قَريبًا منهُ لَرُبَّما مَدَّ يَدَهُ وصَفَعَني، أَو طَرَحَني أَرْضًا. فتَأتي إجابَتُهُ بغَضب وانفعال ويَرتَفعُ صَوتُهُ قائلاً: أنا لا أكذبُ عليكَ، ثُمَّ كيفَ أنا أقولُ لكَ كَذا وكَذا... وأنتَ تَرُدُّ بمثل هَذا الرَّد؟ وتَسألُني مثل هذا السؤال؟ وقُلْ نَفْسَ الشَّيء بالنِّسبة للمُتَّصلات منَ الزَّوجات.

وفي هذا يَحْضُرُني كَلامًا جَميلاً للإمام أبي حامد الغزالي عندَما ضَربَ مثالاً عن الأعمى فقال:(دَخلَ الأعمى دارَ قَوم فَتعَثرَ فيها بأواني الدَّار، فقالَ لَهم: ما بالُ هذه الأواني تُركَتْ عَلى الطَّريق، لمَ لا تُردُّ إلى مَواضعها؟ فقَالوا لَهُ: تلكَ الأواني في مَواضعها! وإنما أنْتَ لَسْتَ تهتَدي للطَّريق لعَماكَ، فالعَجبُ منكَ أنكَ لا تُحيلُ عثرَتَكَ عَلى عَماكَ وإنما تُحيلُها إلى تَقصيرغيرك).[1]

فيا أيُّها الزَّوجُ تَقبَّلْ بينَكَ وبَينَ نَفْسكَ أنكَ قد وَقَعْتَ في الخَطأ، أو حَتَّى مُجْموعَةَ منَ الأخطاء، فوُقُوعُكَ فيه أمرٌ طَبيعيٌّ كونُكَ بَشَرًا، ولا تُحاولْ أنْ تُبرِّرَ الخَطأَ وتَلتفَّ عَليه، أو أنْ تُوجدَ لهُ أَلْفَ مُسَوِّغ و ألفَ حُجَّة، وعَليكَ أنْ تَتحَمَّلَ مَسْؤُوليَّته، ولتكُنْ شُجاعًا وتَعترَف، وَالْقِ باللاَّئمَة عَلى نَفسكَ لا عَلى غَيركَ، ولا تَرْمِ عَلى كَاهل زَوجتكَ تَبعات أفْعَالكَ.

---

(1) إحياء علوم الدين (3/20)

وأنتِ أيَّتها الزَّوجة تشجَّعي واعترفي بخطئك تجاه زوجكِ، واعتذري منه لو بَدرَ منكِ خطأ تجاههُ، وحاولي جاهدةً ألاَّ تُكرِّري الوقوعَ فيه.

ولِيُتْبعَ كُل منكما السيئةَ إذا صدرتْ منهُ بالحسنة تَمْحُها، فتُنسى الإساءةُ ويَبقى الإحسانُ.

ولعلِّي أذكِّركُما بحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه أرادَ سَفَرًا فقالَ: يا رسولَ الله أوصني قالَ: (اعبد الله ولا تُشركْ به شَيئًا). قالَ: يانبي الله زدْني. قالَ: (إذا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ). قالَ: يا نَبي الله زدْني. قالَ: (اسْتَقِمْ ولِتُحَسِّن خُلقكَ).[1]

<<<

والشَّاهِدُ منهُ قولُه: إذا أسأتَ فأحسِن. وهنا نُلاحظُ أنه لمْ يَقُلْ: إذا أَسَأْتَ فاعْتَذرْ وإنما قالَ: فأَحْسِنْ. والذي يَظهَرُ لي أنَّ هُناكَ فَرقًا بينَ الاعتذار والإحْسان. فالإحْسانُ لَفْظٌ عامٌ، يَبْدَأُ بالاعْتذار، ونهايَتُهُ مَفْتُوحَةٌ!! بالإحْسان العَاطفيِّ والمالي ونَحو ذلكَ...

(1) رواه ابن حبان والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة (3/230)

الرَّكيزةُ 26

مَنْ يَتْبَعُ مَنْ؟

مَنْ يَتْبَعُ مَنْ؟..

إنَّ منَ الأشياء التي لَمسْتُها وَاقعيًّا هُوَ وُجودُ اختلال واضح في إحدى زَوايا العلاقَة الزَّوجيَّة، ومَنْبَعُ هَذا الاختلال هُوَ منْ تَصَوُّر نَاقص تَحْمِلُهُ بَعضُ الزَّوجات.

وهذا التصوّرُ محوَرُهُ هو رغبة الزَّوجة أنْ تُنافسَ زَوجَها وتُزاحمَهُ عَلى قيادَة الأُسرة، فتَتَبَدَّلُ الصُّورةُ وتَنْقَلبُ الأدوارُ، وهذا الأمرُ لا يَقبَلُهُ كَثيرٌ منَ الأزواج، وبسَبَبه تَحدُثُ الإشكالاتُ وتكثرُ

الخلافاتُ وتَضْطَربُ الأُسرةُ. والأفضلُ لو تَركَتْ الزَّوجةُ الأمرَ وتَبـعَتْ ذَا الأمر.

وَلنَتصوَّرْ الحياةَ الزَّوجيَّةَ كَأنها سَفينَةٌ تَقْطَعُ البحارَ والمحيطات، لذلكَ فمنَ الطَّبيعيِّ أنْ يَكونَ لَها قَائدٌ واحدٌ يُوجِّهُهَا ويَحْسبُ طُرُقَ سَيرهَا، وبَقيَّةُ أفراد الطَّاقَم يُساندُونَهُ ويُسَاعدونَهُ في قيادَته للوُصول إلى بَرِّ الأمان وشَاطئِ الرَّاحَة. وهَلْ يُمكن أنْ نَتصَوَّرَ سَفينَةً بلا قائد؟ أو بلا مُساعدين؟ أو فيها أَكْثرُ منْ قائد يَعمَلُونَ جَميعًا في وقْت وَاحد؟ إذًا هيَ مَسْأَلةٌ تكامُليَّةٌ بينَ جَميع أفراد طاقَم السَّفينَة. فالقائدُ لَهُ دَوْرٌ يُؤَديه، وجَميعُ مَنْ هُمْ مَعَهُ لهمْ دَورُهُم المحدَّدُ الذي يَقومُون به، والمُفتَرَضُ أنْ يَلتَزِمَ كُلُّ واحد بدَوره وَلا يَتعدّاهُ إلى دَور غَيره. هُنا يَجبُ أنْ نُنبِّهَ إلى أَنَّ الكُلَّ يَجبُ أنْ يَعْمَلَ بروح الفَريق الواحد، إذْ لَيسَ منْ حُدود فاصلَة بشَكْل واضح بَينَ كُلِّ دَور ودَور.

ففي تَربية الأبناء مَثلاً لا نَسْتَطيعُ أنْ نَقولَ أنَّ الـمَسؤُوليَّةَ كُلُّها تَقعُ عَلى عاتق الزَّوجة دُونَ الزَّوج أو العَكس، بلْ نَقولُ أَنَّ كليهما يَجبُ أنْ يُؤديَ دَورَهُ بما يُحَقِّقُ التَّربيةَ السَّليمةَ لهم، وأنْ تَحْفَظَ الزَّوجةُ لزَوجها مَكانَته، وأن تَجْتَهدَ في تَطبيق تَوجيهاته ما لَمْ تُخالف الشَّرعَ، خَاصَّةً إذا كانَتْ ذُريَّتهما ذُكُورًا! لأنَّ الأبَ أكثرُ قُدرَة منها عَلى تَوجيههم لأنْ يُصبحُوا رجالاً لَديهم القوَّةُ عَلى خَوض غمار الحياة بنجاح.

وأنْ يَحفَظَ الزَّوجُ للزَّوجَة مَكانَتها وتَوجيهاتها إذا كَانَتْ ذُريَّتُهما إناثًا! لأَنَّ الأمَّ أقربُ لَهُن، وأكثرُ قُدْرَةً على فَهْم حَاجياتهنَّ. عَلى أنه لا يُوجدُ حُدودٌ فاصلةٌ واضحةُ الـمَعَالم تمامًا بَينَ هَذا وذاك.

وَكَمْ سَمعْتُ منْ شَكاوَى الأزواج عَلى زَوجاتهم في أمور مُعَيَّنة، ثُمَّ يَتَبَيَّنُ لي فيها مُباشرةً أَنَّ الزَّوجَةَ تُريدُ احتلالَ مَوقعَ زَوجها وتَرحيله إلى مَوقعها، وهُوَ يُدافعُ عَنْ مكانته بشَتَّى الوَسائل والطّرق.

ولا يَتصَوَّرْ أَحَدكما أنَّ هناكَ مَوقعَين حَقيقين!! مَكتوبٌ عَلى الأوَّل دَورُ الزَّوج والآخَر دَورُ الزَّوجة، كَلاًّ!! الأمْرُ لَيسَ كَذلكَ!! بلْ هيَ أُمورٌ خاضعَةٌ للمُشاهَدات الـمُجْتَمَعيَّة والأعراف والتَّقاليد. ومنَ الـمُتَعارف عَليه في بلادنا العَربيَّة أنَّ الصُّورةَ الذِّهنيَّةَ الـمَرْسُومَةَ عن الزَّوج أنه هُوَ الكُلُّ في الكُلِّ وأنه (سي السَّيد)، وَالمالكُ الوحيدُ، والـمُتَصَرِّفُ السَّديدُ. وبناءً عَلى هَذه الصُّورة لا يَرْضَى الزوجُ أنْ يُعامَلَ بأقلِّ منْ ذلكَ حَتَّى وإنْ لمْ يَكُنْ هوَ لذلكَ أَهْلٌ، بلْ حَتَّى ولَوْ كانَ أَحمَقًا أَهْوَجًا، أَيْنَما تُوَجِّهُهُ لا يَأْتي بخَير.

لذا رسالتي لَك أيّتها الزَّوجةُ السَّعيدةُ أنْ تُراجعي طريقتَكِ في التَّعامُل معَ زَوجكِ ومعَ الأَحداث التي تمرُّ عَليكُما، فَربَّما أَنتِ منْ حَيثُ تَشعرينَ أو لا تَشْعُرينَ تُريدينَ مُصادَرَةَ مَوقع الزَّوج القائد واحْتلالَهُ، أو عَلى الأقلِّ

تُريدينَ مُزاحَمَتهُ عَليه، وهَذا ما لا يَقْبَلُهُ الزَّوجُ، فتَنشَبُ الخلافاتُ، وتَقومُ الـمَعارِكُ، وتَتأَجَّجُ الصِّراعاتُ بينكما.

وفي هَذا يَحْضُرُني قَولُ برنارد شو: (المرأةُ ظلُّ الرَّجل عَليها أنْ تَتْبَعَهُ لا أنْ تَقُودَهُ).[1]

<<<

فإنْ أَرَدْتِ السَّعادةَ أَيّتها الزَّوجةُ فعَليك باسْتحضار ذلكَ، وطَبعًا هَذا لا يَعني أنكِ لا تُقدِّمين لَهُ الـمَشورةَ بلْ قَدِّميها لَهُ وشاركيه آراءَه، وَكُوني لَهُ الظلَّ الذي يَسْتَفيءُ به، والقَبَسَ الذي يُضيءُ لَكُما طَريقَ السَّعادة في حَياتكما معا.

■■■■

---

(1) متعة الحديث (ص: 66)

الرَّكيزةُ 27

الابْتِسامَةُ روحُ الحَياةِ

الابْتِسامَةُ
روحُ الحَياةِ..

> الابتسامةُ ذلكَ الجَمالُ الكريستالي...
الابتسامةُ ذلكَ السُّلوكُ المرغوبُ فيه على الدّوام...
الابتسامةُ رسالةُ الحُبِّ والأمان...
الابتسامةُ سرُّهَا عَجيبٌ!! وسحْرُهَا أَعْجَبُ!!

كَمْ منْ إنسان غَاضبٍ قُوبلَ بابتسامَة، فَبَدَّلَتْ حالَهُ إلى رضا وسُكون. وكَمْ منْ حَزين تَهَلَّلَ وَجْهُهُ لَها اسْتبْشارًا وتَفاؤُلاً وَسُرُورًا.

فلا تَتهاوَنا أيُّها الزَّوجان بأَثَر الابتسامة عَلى بَعضكُما. فَهي كَما قيلْ: أَقَلُّ كُلْفَةً منَ الكَهرباء وأَكْثَرُ إشْراقًا منها.[1]

وهُنا لابُدَّ أنْ تُدركي -أيّتها الزَّوجةُ الباسمَةُ- أَنَّ زَوجَكِ يَتمنَّى منكِ الابتسامَ عَلى الدَّوام، ولذلكَ قَالوا في الـمَثَل:

إنَّ الزَّوجَ كَالـمُصَوِّر يُريدُ منْ زَوجته أنْ تَبْتَسمَ دَائمًا.[2]

ولماذا بالذات نحنُ مَعاشر الرِّجال نُطالبُ زَوجاتنا بكَثرة الابتسام؟! لأننا نَعيشُ في زَمن غَلَبَتْ عَلى طابعه صُعوبةُ الحياة، وكَثرةُ المشاغل والأعمال، وثقُلَتْ الكواهل بالدُّيُون، وَوُجوب تَأمين السَّكن ومُسْتَلزَمات الأُسرة وسَيارَاتها وخَدَمها، وسَفَرها!! فَضْلاً عَمَّنْ تَعَثَّرَ في تجارَته، فَخَسرَ ثَرْوَتَهُ، كما حَصلَ قَريبًا في مجتَمعنا منْ هُبوط لأسعار الأسهم، وضياع الأموال فيها. إذًا فَكُل ذَلكَ مما يَمُرُّ به الزَّوجُ يَكونُ لَهُ ضَريبةٌ منَ الهَـمِّ والغَمِّ قَدْ يَمتَدُّ أَثَرُها طَويلاً عَليه. وهُنا نُريدُ منكِ -أيّتها الزَّوجةُ الباسمةُ- أنْ تُديمي رَسْمَ الابتسامة عَلى مُحيّاكِ أمامَ زَوجكِ عندَ اسْتقباله وتَوديعه وخلالَ مُجالَسَتك لَهُ، وألّا تَكوني كما يُقال ثَقيلَةَ الدم، جاثيةً عَلى الكَبد، مُقَطِّبَةَ الجَبين... كلاَّ!! بلْ عليكِ بالـمَرح وخفَّة الرُّوح وابتسام الثغر مَعَ زَوجكِ، حَتَّى تُرَوِّحي عنْه ما أصابَهُ منْ هَمٍّ ونَكَد، ليشْعُرَ بالرّاحَة والـمُتعة والأُنس مَعَكِ.

وتَذَكَّري كَمْ لتبسّمُكِ منْ أَثر عَلى نَفس زَوجكِ الـمَهموم، الـمُتعب

---

(1) متعة الحديث (ص: 132)

(2) متعة الحديث (ص: 68)

الـمَغموم. فضلاً عن الأجر الذي سيُضافُ إلى ميزان حسناتكِ يوم القيامة لحسن تبَعُّلكِ لزوجكِ.

وكُلُّ ما قلتُهُ للزوجة هُوَ مَطلوبٌ منَ الزَّوج أيضًا، فَلا يَعني ذلكَ أيّها الزوج أنْ تُهمل حَقَّهَا، أوْ تَتْرُكَ الابتسامَةَ عندَ مُقابَلَتها أو مُجالَسَتها.

وتَذَكَّرا -أيُّها الزَّوجان الـمُبْتَسِمان- بأَنَّ الـمَدْخَلَ لقلوب بَعضكما هُوَ الابتسامُ لا العُبوسُ. وحَتَّى وإنْ كانتْ ظُروفُ الحياة صَعبةً، والقلبُ مُثقَلٌ بالـمَشاغل، فَلا بَأسَ منْ أنْ تَبْتَسِما، أو عَلى الأقلِّ تُحاولان أنْ تَرسما البَسْمَةَ عَلى شفاهكُما رَسْمًا. حَتَّى يُصبحَ الابتسامُ لَديكُما عَادةً لا تَنفَصِلُ عَنكُما مَهْما كانت الظُّروف.

ومنَ الحَسَنِ أَنْ أُذكِّرَكُما بما رواهُ جرير رضي الله عنه حيثُ قالَ: مَاحَجَبَني رسولُ الله ﷺ مُنذُ أسْلَمْتُ ولا رَآني إلاَّ تَبَسَّمَ في وَجْهي.(1)

فاتَّخذا عَلى أَنْفسكُما عَهْدًا ألاَّ تُقابلا بَعضَكما بعد اليوم إلاَّ بابتسامة مُشرقَة، حاولا أنْ يَكونَ مَنْبَعُها قَلبَيكُما.

وبما أننا في موضوع الابتسامة فلَعَلي أحكي لكُما ما تَبْتَسِمان منهُ: فعنْ محمد بن إسحاق الصَّيرفي قالَ: سَألْتُ الزُّبيرَ مُنذُ كَمْ زَوْجَتُكَ مَعَكَ؟ قالَ: لا تَسْألني لَيسَ تَرِدُ القيامَةَ أكثرُ كباشًا منها، ضَحَّيتُ عَنها سَبعينَ كَبْشًا.(2)

---

(1) رواه البخاري (6، 178 - رقم 3035 فتح)

(2) سير أعلام النبلاء (12/314)

<<<

ولأهميَّة مَوضوع الابتسامة ومَدَى تَأثيرها في البشر أُنشِأَتْ رابطَةٌ تُدْعَى «الرّابطَةُ الأمريكيَّةُ للعلاج والمَرح»، منْ مُعتقدَاتها أنَّ منْ بَين الأشياء التي غالبًا مَا نفْتَقرُ إليَّها في حياتنا هيَ الضَّحكُ المُمْتعُ. وقدْ حَدَّدَ العُلماءُ في جامعة كاليفورنيا في سان فرانسيسكو تسعةَ عَشر نَوْعًا منَ الابتسامة، كُلّ منها تَستَطيعُ أنْ تُوصلَ رسالةً سَعيدةً، تُواجَهُ عَلى الأَغلب بابتسامَة مُمَاثلَة.

■ ■ ■ ■ ■

الرَّكيزةُ 28

الفِرارُ مِنَ الدُّيونِ

الفِرارُ مِنَ الدُّيونِ..

> إنَّ منَ الأخطاء الفادحَة في حياة الأُسر هُوَ قَضاءُ الحَوائج بالدَّين. ولا تكادُ تَجدُ واحدًا قَدْ اضْطَرَّهُ الزَّمانُ للاسْتدانَة، إلا وقَدْ نَدمَ عَلى ذلكَ اليَّوم الذي اقْتَنَعَ فيه بتلكَ الفكْرَة. ويَشْتَدُّ الألم إذا كانَ ذلكَ الدَّينُ لتحقيق كماليات في حياتنا!! كَمَنْ يَسْتَدين ليُسافرَ، فَيأخُذُ قَرْضًا بمبلغ مُعَيَّن يَستَمرُّ في سَداده سَنَةً أو أَكثر. أو لتغيير أثاث بَيته بأَكْمَله بدُون داع. وغيرُ ذلكَ منَ الأمور الكَماليَّة التي تتَّجهُ بالتَّأكيد إلى طَرف التَّبذير.

وأذكُرُ في هذا الشَّأن أنَّ أحَدَ الأزواج اسْتَخرجَ لَهُ سَيّارةً وباعَها بمبلغ ثلاثة وثَلاثينَ ألف ريال كَي يُسافرَ هُوَ وَزَوجتُه إلى أحَد البلاد الأوروبيّة لـمُـدَّة ثَمانيَة عَشَر يومًا فَقَط، ولَوْ قُمْنا بحساب مَا سَيَصْرفُهُ يوميًا هُناك، لكانَ الجوابُ أكثرَ منْ (1800 ريال سُعودي)!!

أليسَ هذا المبلغ كبيرًا؟

أليسَ هذا المبلغ الكبير قَد صُرفَ في شيء كَماليٍّ ؟

ألا يُمكنْ أنْ تمرَّ به ضَائقَةٌ شَديدةٌ في الـمُستَقبَل يَضْطَرُّ وَقتها إلى الاقتراض؟ عندَها كَيفَ سَيتصَرَّفُ وعَليَّه سَدادُ قَرض سَابق؟!

و لاحظا مَعي أنَّ الرِّحلةَ التي قَضَياها هَذان الزَّوجان في الخارج، وتَمَّ صَرْفُ كامل المبلغ الـمُقْتَرَض أثناءها قَد انقَضَتْ سَريعًا ولَحَظاتُ الأنس والفَرَح قَد انْتَهَتْ، بَينما مَا تَزالُ تَوابعُ القَرض لَم تَنْتَهِ بَعد، وسَيَسْتَمرّان في سَداده لسَنَوات قادمَة.

فيا أيها الزَّوجان المُخَطِّطان حَذار ثُمَّ حَذار منَ الوُقوع في مثل هَذه الأخطاء، وَوَفِّرا أَمْوالَكُما حَتَّى ولَوْ كانَ كُلّ منْكما مُوَظَّفًا لهُ دَخْلُهُ، لأَنَّ ذَلكَ سَيَعودُ عَليكُما بالنَّفْع الدّائم في المستقبل.

وخَيرٌ لَكما أنْ تَشْتَركا في شراء بَيت تَعيشان فيه، وتَحْفَظان فيه أَمْوالَكما، ولابُدَّ أنْ يَكونَ هَذا الأمرُ في سُلَّم الأَوْلَويّات.

ولَعلِّي أَقفُ مَعَكُما عَلى مشْكاة النُّبوة لنَسْتَطْلعَ أَحدَ قَبساتها، فعنْ عقبة

بن عامر رضي الله عنه أنه سَمعَ رسولَ الله ﷺ أنه قالَ: «لا تُخيفُوا أَنفُسَكُمْ بَعدَ أَمْنِهَا؟ قَالوا ومَا ذاكَ يا رسول الله؟ قالَ: الدَّيْنُ».[1]

<<<

وهُنا رَجاءٌ أتَمَنَّى منْ كُلِّ زَوجَة أنْ تُقَدِّرَ أَحْوالَ زَوجها وظُرُوفه المادِيَّة. ولا تَنْظُرْ إلى غَيرها منَ النِّساء فَتَطْلُبُ منْ زَوجها ما لا يَسْتَطيعُ تَحْقيقَهُ لَها إلاَّ بدَين، والذي يُعتَبَرُ مُهَدِّدًا منْ مُهَدِّدات تنغيص السَّعادَة الزَّوجيَّة.

وقَدْ خَلَّدَ التّاريخُ إحْدَى شَكاوى الرِّجال عندَما قالَ:

عَليلٌ مِنْ مَكانَين
مِنَ الأَسْقام والدَّين
وفي هَذين لي شُغْلٌ
وَحَسْبي شُغْلُ هَذينِ[2]

■ ■ ■ ■ ■

---

(1) رواه الطبراني في الكبير 17/328 - رقم 906 ورواه البخاري في التاريخ الكبير بلفظ «لا تخنقوا أنفسكم بالدين» 6/430 - رقم 2885، وصححه الألباني في الصحيحة (5/546 - رقم 2420)

(2) سير أعلام النبلاء (13/9)

الرَّكيزةُ 29

كُنْ مَرِنًا

كُنْ مَـرِنـًا..

>مِنَ الأمورِ الـمُهمَّةِ التي تُساعدُنا عَلى خَوضِ غمارِ الحياةِ بنَجاحٍ امْتلاكنا قَدْرًا منَ الـمُرونَة، مما يُساعدُنا عَلى التَّواصُلِ النّاجحِ معَ مَنْ حَولنا.

والقاعدةُ في هذا الأمرِ هيَ: الشَّخصُ الذي يَمتَلكُ مُرونَةً أَكثرَ، تكونُ لَديهِ سَيْطَرَةٌ عَلى أَوْضاعهِ بنسبَةٍ أَكْبرَ.

وعندَما أَطْرَحُ رَكيزَةَ الـمُرونَة هذه فإنّني لا أَقْصدُ بذلكَ الضَّعفَ والخُذلانَ!! إنما أقصدُ تَقَبُّلَ

بعض الأخطاء التي تَقَعُ منَ الـمُحيطين بنَا، هَذا التَّقبُّلُ لاَ يَعْني بالتَّأْكيد أنّنا أناسٌ ضُعفاءٌ مَغْلُوبٌ عَلى أَمْرنا!! ولَكنْ هيَ الـمَقْدرَةُ عَلى إعْطاء فُرَص للآخرين، ومُساعَدَتهم عَلى تَخَطِّي مَا يَبْدُرُ منهم منْ أَخطاء، أوْ تَقْصير في حَقِّنا.

وليستْ كُلُّ الأخطاء نستطيعُ أنْ نَتقبَّلَها بشَكل مَرن. ولَعَلِّي أضْربُ لذلكَ مَثلاً منْ قصَص الحَياة التي تمرُّ عَليَّ، فَتُركي شابٌ تزوَّجَ مُنذُ سَبْع سَنَوات، كانَ في بداية زواجه قَدْ دَخَلَ عَلى زَوْجَته فَلمْ يَجدْ وَجْبَةَ الغَداء جَاهزَةً، ولـمّا سَأَلَها لماذا لَمْ تُجَهِّزْ لَهُ طَعامَه؟ لَمْ يَجدْ جوابًا مُقْنعًا، وشَعَرَ بأنها غيرُ مُبالية بالأمر!! فَحَمَلَ نَفْسَهُ إلى الـمَطعَم القَريب من سَكَنه، وَأَحْضَرَ وَجْبَةَ الغَداء وتَناوَلاها سَويًّا. وبَعدَ فَترة منَ الزَّمَن لَيْسَتْ بطَويلَة، تكَرَّرَ نَفسُ الـمَوقف منْ زَوْجَته مرات عديدة، وتَبعًا لذلكَ كانَتْ رَدَّةُ فعْله مُشابهَةً لما حَصَلَ منهُ سابقًا بالاسْتجابَة لأَمْر شراء الوَجَبات منَ الـمَطاعم. وهَكَذا اسْتَمَرَّ الوَضْعُ واسْتَمَرَّتْ بهما الحَياةُ حَتَّى أَنْجبَا ثَلاثَةً منَ الأَطْفَال.

اتَّصلَ بي تُركي شَاكيًا منْ عَدَم اهْتمام زَوجته به، وتَقْصيرها في شُؤون بيتها، وأَنه يَأْتي منَ العَمَل وهُوَ في قمَّة التَّعَب وَالإرْهاق وَلا يَجدُ غالبًا وَجْبَةً جاهزةً. ويَسْأَلني مَاذا يَفْعَلُ مَعها؟ وكَيفَ يَحلُّ هَذه الـمُشْكلَةَ؟

وأذكُرُ أنه كانَ منْ بَين الأَسْئلَة التي وَجَّهْتُها إليه: هَلْ سَبَقَ وَكَرَّرَتْ هَذا التَّقصير مَعَكَ؟ فإذا بي أَتَفاجَأُ بجَوابه: إنها تُكرّر ذلك أكثر منْ ثلاث

مرات أسبوعيًا منذ أن تزوّجْتها.

فسَأَلْتُهُ أيضًا: ولماذا لا تتَّخذُ موقفًا واضحًا منها حيالَ ذلكَ؟

فَرَدَّ قائلاً: في الحَقيقة إني أَجدُ في نَفسي ضَعْفًا لتَقْويم هَذا الخَلَل، ولذلكَ أَميلُ إلى الصَّمْت وتَقَبُّل أَمر تَقْصيرها، كَيْلا أَدْخُلَ مَعَها في جدال وَارْتفاع في الأصوات ينتهي بمشاكلَ عديدة، وإني أُحبُّ أنْ أُعاملَها بمُرونَة، وأَكْرَهُ الشِّدَّةَ مَعها -انتهى كلامُه-.

هُنا يَتَّضحُ لنا الفَرقُ بينَ المُرونة والضَّعف، فتَصَرُّفُهُ لَيسَ تَصَرُّفًا يُقْصَدُ به المُرونةُ!! نَعمْ، لَوْ أَنّها قَدْ قَصَّرَتْ مَعهُ مَرَّات قَليلة، لَقُلنَا أَنَّ خُضوعَه لَها مُرونَةٌ منهُ، أَمّا وقَدْ تكَرَّرَ بمثل هَذا الشَّكْل! فَإنّنا نُصَنِّفُ تَصرُفَها بأَنهُ عَدمُ مُبالاة وإهْمال و كَسَل منها في حَقِّ زَوجها وأَولادها. إذًا التَّعامُلُ مَعها بمُرُونَة في هَذا الأَمْر ما هُوَ إلاَّ ضَعْفٌ... وفَرْقٌ كَبيرٌ بينَ الـمُرونَة والضَّعف!!

<<<

فكُونا أَيُّها الزَّوجان مَرنين معَ بَعضكُما البَعض، بلا خُضُوع وضَعْف، عندَها تَسْتَطيعان السَّيطرَة عَلى أَوْضاعكُما بشَكْل أَكْبَر، وتَسْتَقرُّ حياتُكُما أَكْثَر فَأَكْثَر.

■ ■ ■ ■ ■

الرَّكيزةُ

30

التَّجْديدُ

التَّجْديدُ..

< الرُّوتينُ هو القَاتل الثاني للحُبِّ بعدَ الفقْر في حياة الأَزْوَاج، وللأَسَف نحنُ بأَيدينا نَصْنَعُ هذا القاتلَ الصامتَ ونُقَوِّيه، فيَكْبُرُ ويُسَيطرُ عَلى حَياتنا الزَّوْجيَّة، ويَبْدَأُ بقَضْم سَعَادَتها دونَ أنَ نشعُرَ، إلى أنْ يَقْضيَ عَليها.

وإنَّ منَ الأمُور التي يَجبُ أنْ يُطَبِّقَها الزَّوجان في حياتهما الزَّوجيَّة والأسَريَّة أَمْرُ

التَّجديد. وكَمْ في التَّجديد منْ تَحقيق لكَثير منَ التَّقارُب وإدْخال التَّرْفيه والسُّرور عَلى جَميع أَفراد الأُسْرَة. وهُوَ يُؤَدي بالتَّأْكِيد إلى تَنْشيط الحَيَاة الزَّوْجيِّة، ومَنْحَها جُرْعَةً منَ الحُبِّ الدَّافئ، وهَذا كَفيلٌ بإضْفَاء جَوّ منَ السَّعادَة والسُّرور والـمُتْعَة في حياة الأُسْرَة كُلّها.

يَقولُ الأديبُ الأريبُ الشَّيخُ علي الطَّنطاوي: (إنَّ منْ أَسْباب التَّوفيق في الزَّواج أنْ يَبْتكرَ فيه الزَّوجان أسْلُوبًا للتَّجْديد ودَفْع الحَياة النَّمَطيَّة الـمُتَشَابهَة، أَعْرفُ رَجُلاً منْ أَرْباب النُّكْتة كانَ يُعدُّ لزَوْجَته كُلَّ يَوم مُفَاجَأَةً، فهُوَ يَتَصَيَّدُ الأَخبَارَ ليَقُصَّها عَليها ويَخْتَرعُ منَ النُّكات العلميَّة أنواعًا عَجيبةً تكونُ في أوَّلها جدًا كَالجدّ، ثُمَّ تكونُ مَادَةً للضَّحك منها والحَديث عنها شَهْرًا.

جَاءَ هَذا الرَّجلُ يَوْمًا فَوَجَدَ زَوجَهُ مُنْفَرِدَةً في الدَّار تَشْكُو الـمَلَلَ، وكَانَتْ امْرأَةً عَاميَّةً، فأَحَبَّ أنْ يُشغلَها بشَيء فَجَعَلَ يَلْوي وَجْهَهُ وَيُظْهِرُ الألَمَ فارْتَاعَتْ وسَأَلَتْهُ: مَا لَكَ؟

قالَ: لا شَيء... لا تَهْتَمي...

قالتْ: مَا لكَ؟ قُلْ لي ممَّ تَتأَلَّم؟

قالَ: لا أَدْري، رجْلي كُلها أُحسُّ كَأَنَّ النَّارَ تَمشي فيها. وجَعَلَ

يُفتِّشُ ويَتَحسَّسُ رجْلَهُ كَأنهُ يُفتِّشُ عَنْ مَوضع الألَم، حَتَّى اهْتَدى إليه فقَالَ: هَاهُوَ ذا إنهُ هُنا في خُنْصُر رجْلي، إنهَا علَّةٌ مُخِيفَة قَرأْتُ عَنها، إنَّ خُنصُرَ رجلي مَغْموسٌ في اللَّحم. ولَمْ تَنْتَبهْ المسْكينَةُ منْ خَوفها عَليه أَنَّ كُلَّ خُنصُر مَغْمُوسٌ في اللَّحم. وانْطَلَقَتْ إلى الْهَاتف لتَدْعُوَ الطَّبيبَ. فقالَ: لا ،لا فَتِّشي في الدَّليل عَنْ طَبيب مُخْتَصٍّ بمَرَض الخَناصر، وأَمْضَتْ زَوْجَتُهُ في ذلكَ نصْفَ ساعة. ثُمَّ ضَحكَ، فَعَرفَتْ النُّكْتَةَ، وصارَتْ لَها مَثارًا للضَّحك ومادَةً تُحَدِّثُ بها جاراتها.

وأنا لا أَطْلُبُ منْ كُلِّ زَوج أَنْ يُمَثِّل مثلَ هَذه الرِّوايَة السَّخيفَة!! بلْ أُريدُ منَ الأَزْواج أَنْ يَعْلَموا أَنَّ منْ أَكْبر أَسْباب الشِّقَاق بَينَ الزَّوجَين الحَياةَ الراكدةَ التي تَمُرُّ أَيّامُها مُتَشابهَةً مُتَماثلَةً، كُلُّ يَوم مثلُ أَمْسه، وَشبْهُ غَده، وَكُلُّ شَيء فيها لا يَتبَدَّلُ وَلا يَتَجَدَّدُ، حَتَّى توزيع الغُرَف، ومكان الأثاث، وألوان الطعام، وأُسلوب الأَكْل. ولا أَدْري مَا الذي يَمْنَعُ أَنْ نأْخُذَ الحكْمَةَ منْ هَذا الـمَجْنون فَنَعْمَدُ أَبدًا إلى قَتْل الرُّوتين بالتَّغيير والتَّبْديل الَّذي تَحْتَملُهُ ميزانيَّتنا، ولاَ تَسُوءُ به أَحْوَالُنا. فَتَذْهَبُ الزَّوجةُ إلى دَار أَهْلها فَتَقْضي فيها أيامًا، ويَبْقَى الرَّجلُ وَحيدًا يُعالجُ أَمْرَهُ بنَفْسه، أَوْ يَكُونُ ضَيفًا مَعَها عندَ أَهْلها فيَجدُ منْ تَبَدَّل

الحال مَا يُجَدِّدُ نَشاطهُ، ويَشْحَذُ شُعُورَهُ، ثُمَّ يَدْعُو أَهْلَ المَرْأَة ليَقْضُوا عِنْدَهُ أيّامًا مثلها. أوْ يَأْخُذُ زَوجَهُ وأَولادَهُ. فَيأْكُلُون يَوْمًا في مَطْعَم، أوْ يَحْملُون الطَّعامَ فَيتَعَشُون عَلى صَخْرَة في الجبل أوْ عندَ سَاقيَة في البُستان).[1]

وزيادَةٌ عَلى مَقُولَة الشَّيخ السَّابقة الذِّكْر، فهُناكَ مئاتٌ منَ الأَمثلة التي يُرادُ بها التَّجديدُ في الحَياة الزَّوجيَّة، وأَعْتَقدُ أنَّ الزَّوجةَ هيَ المَعْنيةُ الأُولَى بأَمر التَّجديد في الأُسْرَة، نَظَرًا لدَوْرهَا الكَبير في إدارة شُؤونها، ولَكنْ مَا يَنطبقُ عَلى الزَّوجة يَنطَبقُ عَلى الزَّوج أَيضًا، فَكلاهُما مَسئُولٌ عَنْ أَمر التَّجديد، وكلاهُما مُكَمِّلٌ للآخر في تَحقيق إنْجازه.

فمثلاً يُمكنْ أنْ تُخَطِّطَ الزَّوجةُ لقضاء إجازة صَغيرة خارجَ البيت، أو خارجَ المَدينة، فتُجهِّزَ كلَّ مُتطَلَّبات هَذه الإجازَة، وما عَلى الزَّوج إلاَّ أَنْ يَبْدَأَ في تَنفيذ هَذه الخُطَّة ويُساعدُ زَوْجَتَهُ عَلى تَحقيق أَمْر التَّرفيه، حتَّى يَسْتَمتعَ جَميعُ أَفراد الأُسْرَة بذَلكَ، وَيَتمُّ قَتلُ الرُّوتين، وتَخْفيفُ حدَّة الإكتئاب إنْ وُجدَ.

---

(1) مع الناس (صفحة: 201)

ويُمكنْ أنْ تَقُومَ الزَّوجةُ بتَغيير ترتيب أثاث المَنزل، كَي تُبْعدَ أَفرادَ أُسْرَتها عَن الـمَنْظَر المُملِّ، ولَكنْ عَليها مُراعَاة رَغبات الآخرينَ ومَا يُريحُهم أَثناءَ تَغيير تَرتيب المَنزل برغبة التَّجديد.

وما المَانعُ بأَنْ تَطَّلعَ الزَّوجَةُ عَلى هوايات زَوجها وَأَولادهَا، فَتُسَهِّلَ لَهُم الأَمْرَ لمُمارَستها، بلْ وَتُشاركُهُم بهَا وتَدْفَعُهم لمُمارَستها بأَفْضَل الطُّرق.

كَما عَلى الزَّوجَة أنْ تَقُوم بتَجديد هَيئَتها منْ وَقت لآخر، لتُدْخلَ البَهْجَةَ عَلى نَاظرَي زَوجها حينما يَرَاهَا، وأن تَحْرص عَلى التَّجديد في طريقة لبْسها أَوْ قَصَّة شَعْرها، أَوْ زينَتها، أوْ حَتَّى في طَريقَة حَديثها مَعهُ، وَلتَعلَمَ كُلُّ زَوجة بأَنَّ العَين والأُذن لا تَسْتَمتعان برُؤْيَة وَسَماع المَأْلُوف. لذا وَجَبَ التَّجديدُ على الدَّوام.

<<<

إذًا لنَبذُلَ قُصارى جُهدَنا لِنَتَمَتَّعَ بفَنِّ التَّجديد، وهُوَ لَيسَ بالصَّعب، فَكُلُّ إنسان يَتمَتَّعُ بشَيء منْه، فَقَط لنَبْحَثَ عَنهُ في ذاتنا، خَاصَّةً إذا ما تَوَفَّرَت الإرادةُ والرَّغبةُ الجادَّةُ.

وإليكُما شعْرُ أبي تمَّام في الحَثِّ عَلى ذلكَ:

وطُولُ مُقام الـمَرءِ بالحيِّ مُخْلِـقٌ[1]
لِديبَاجَتَيه[2] فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

فَـإنِّي رَأَيْـتُ الشَّمسَ زِيـدَتْ مَحَبَّـةً
إلى النَّاسِ أنْ لَيسَتْ عَليهم بسَرْمَدِ[3]

■ ■ ■ ■

---

(1) خلق: بمعنى بَلِيَ. (المعجم الوسيط 1/252)

(2) ديباجتيه: بمعنى الخدّين. (المعجم الوسيط 1/269)

(3) سير أعلام النبلاء (11/65)

المَراجِعُ

1. ابن ماجة، محمد بن يزيد (سنن ابن ماجة) الطبعة الأولى 1998، دار الحديث
2. الألباني، محمد ناصر الدين (سلسلة الأحاديث الصحيحة) 1995، مكتبة المعارف
3. الألباني، محمد ناصر الدين (صحيح الجامع الصغير وزياداته) الطبعة الثالثة 1988، المكتب الإسلامي
4. أنيس، إبراهيم وآخرون (المعجم الوسيط) المكتبة الإسلامية
5. البخاري، إسماعيل بن إبراهيم (التاريخ الكبير) دار الكتب العلمية
6. ابن الجوزي، عبدالرحمن (صيد الخاطر) تحقيق محمد عبدالرحمن عوض 1994، دار الكتاب العربي
7. الترمذي، محمد بن عيسى (الجامع الصحيح) تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، المكتبة التجارية
8. الجوزية، محمد بن أحمد بن القيم (الفوائد) الطبعة الأولى 1987، دار الريان للتراث
9. الداوود، عبدالله محمد (متعة الحديث) الطبعة الأولى 2003

10. الذهبي، محمد بن أحمد (سير أعلام النبلاء) الطبعة العاشرة 1994، مؤسسة الرسالة

11. السباعي، مصطفى (هكذا علمتني الحياة) الطبعة الثالثة 1986، المكتب الإسلامي

12. الطبراني، سليمان بن أحمد (المعجم الكبير) تحقيق حمدي السلفي الطبعة الثانية، مطبعة الزهراء

13. الطنطاوي، علي (مع الناس) الطبعة الثانية 1989، دار المنارة

14. الطنطاوي، علي (صور وخواطر) الطبعة الثانية 1991، دار المنارة

15. العسقلاني، أحمد بن محمد بن حجر (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) الطبعة الأولى 1986، دار الريان للتراث

16. الغزالي، محمد بن محمد (إحياء علوم الدين) الطبعة الثالثة، دار القلم

17. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (القاموس المحيط) الطبعة الثانية 1987، مؤسسة الرسالة

18. النووي، محيى الدين (المنهاج شرح صحيح مسلم) الطبعة الأولى 1994، دار المعرفة للطباعة

■ ■ ■ ■ ■

الفَهْرَسُ

تقديم 4
مقدمة المؤلف 11
الركيزة الأولى: التدين 17
الركيزة الثانية: تطوير ذاتي 25
الركيزة الثالثة: التغيير الإيجابي مسؤوليتي أنا 31
الركيزة الرابعة: الاهتمام باحتياجات الطرف الآخر 37
الركيزة الخامسة: سياسة فعّالة 49
الركيزة السادسة: أولياء عقلاء 55
الركيزة السابعة: سلسلة الحلم 63
الركيزة الثامنة: احترام الذات 71
الركيزة التاسعة: استخراج ما بالنفس مهارة 77
الركيزة العاشرة: أطلق عنان المشاعر الطيبة..................... 85
الركيزة الحادية عشرة: الرفق رأس الحكمة 91
الركيزة الثانية عشرة: إدارة الصراع 97
الركيزةالثالثة عشرة: التسامح راحة للقلب 105
الركيزة الرابعة عشرة: على أي المستويات أنتما؟................. 111

الركيزة الخامسة عشرة: الحوار 117
الركيزة السادسة عشرة: زوجة واحدة أم أكثر؟ 123
الركيزة السابعة عشرة: استشارة أهل الشأن 131
الركيزة الثامنة عشرة: الجود والكرم 139
الركيزة التاسعة عشرة: التزفيه 147
الركيزة العشرون: تقبل الآخر 153
الركيزة الحادية والعشرون: تشجع واعترف 159
الركيزة الثانية والعشرون: حسن الخلق 165
الركيزة الثالثة والعشرون: يمكن أن تتم المعالجة بلا صراخ .. 173
الركيزة الرابعة والعشرون: مقدار الحياة 179
الركيزة الخامسة والعشرون: أحسن إذا أسأت 185
الركيزة السادسة والعشرون: من يتبع من!؟ 191
الركيزة السابعة والعشرون: الابتسامة روح الحياة 197
الركيزة الثامنة والعشرون: الفرار من الديون 203
الركيزة التاسعة والعشرون: كن مرنًا 209
الركيزة الثلاثون: التجديد 215

■ ■ ■ ■ ■

المؤلف في سطور

- ماجستير علم الاجتماع من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض 2011م.
- ماجستير إدارة أعمال من الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا عام 2007م.
- بكالوريوس التربية في الدراسات الإسلامية من جامعة الملك سعود بالرياض عام 1998م.
- مستشار في شؤون الأسرة في مشروع ابن باز الخيري لمساعدة الشباب على الزواج.
- مؤلف كتاب "الوسوسة رؤية شرعية وطبية ودراسة ميدانية".
- مدرب معتمد في برنامج " TRIZ لحل المشكلات بطرق إبداعية من مركز ديبونو".
- قدم العديد من الدورات التدريبية في العلاقات الأسرية في مختلف مناطق المملكة.
- قدم العديد من الدورات التدريبية للمقبلين على الزواج لمنسوبي وزارة الدفاع والطيران.
- قدم العديد من الدورات التدريبية في مجال القيادة الناجحة.
- قدم العديد من الدورات التدريبية في مجال تطوير الشخصية.
- له مقالات منشورة في عدة صحف ومجلات .
- للتواصل مع المؤلف:

asrm_55@hotmail.com

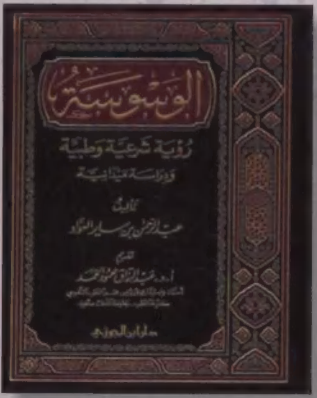

صدر مؤخرا للمؤلف كتاب "الوسوسة"، والذي يعتبر رحلة ماتعة يجد فيها القاريء رؤية واضحة ومنهجية عملية في التخلص من الوسوسة - بإذن الله تعالى- بنوعيها المرضي وغير المرضي، مبتدئة بالوقوف على أسبابها ثم بتأملات في نصوص الكتاب والسنة، يليها وقفات نفسية ومنطقية، وأحكام فقهية، منتهية بقواعد وقائية ودراسة ميدانية وفوائد عملية.

ولقد تم تأليفه بشكل مبسط ولغة سهلة وبطريقة تفاعلية، معتمدا في كل ذلك على المنهج الشرعي. لذا فهو ذو أهمية كبيرة لكل من يعاني منها، أو من يساعد غيره في معالجتها.